عبدالله بن حمد الحقيل

رحلات ومشاهدات
في شرق آسيا

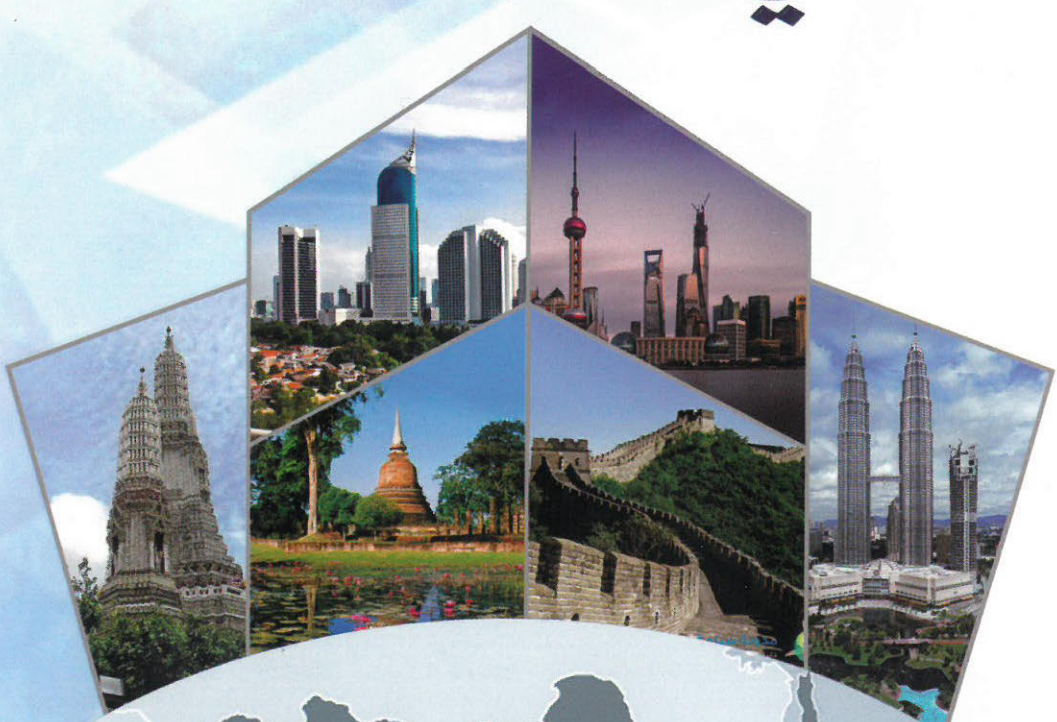

الطبعة الأولى
دار الحضارة للنشر والتوزيع

رحلات ومشاهدات في شرق آسيا

بقلم

عبدالله بن حمد الحقيل

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحقيل، عبدالله حمد
رحلات ومشاهدات في شرق آسيا./ عبدالله حمد الحقيل-الرياض
١٤٣٤هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم.
ردمك: ٣ -٢٨٩ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨
١ -آسيا -وصف ورحلات ٢ -الرحلات أ -العنوان
ديوي ٩١٥.٠٤ ١٤٣٤/١٠٥٠٧

رقم الإيداع: ١٤٣٤/١٠٥٠٧
ردمك: ٣ -٢٨٩ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

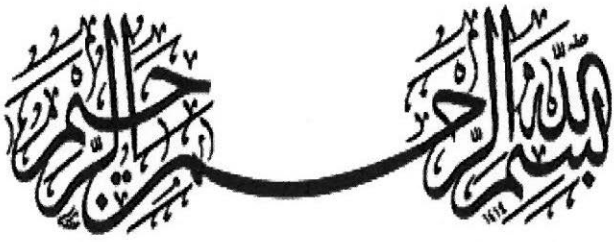
بسم الله الرحمن الرحيم

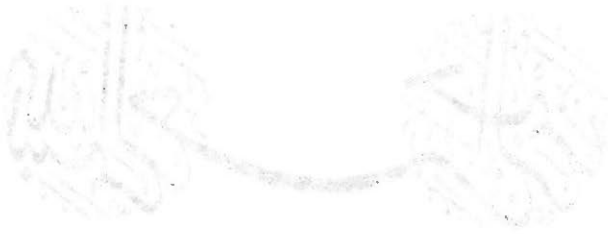

الإهـــداء

إلى والدي حمد بن عبدالله الحقيل – رحمه الله – الذي حرص على تربيتي وتعليمي وأشعل ضوء العلم ونور المعرفة في طريقي.

وإلى والدتي شيخة بنت عثمان العبدالجبار – رحمها الله – التي اختارتها يد المنون منذ خمسين عاماً ولما تكمل ثلاثين عاماً من عمرها الحافل بضروب الخير والإيثار رحلت وكنا أشد ما نكون حاجة إلى تربيتها ورعايتها وحنانها فلازمت ذكراها الأليمة القلوب والأفئدة والنفوس فإلى والديَّ أهدي ثواب هذا الكتاب.

المؤلف

عبدالله بن حمد الحقيل

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية، فقد احتل أدب الرحلات في جميع لغات العالم مكانة مرموقة. وهذا الكتاب يتضمن الحديث عن رحلات قمت بها إلى شرق آسيا، وقد تضمنت المشاهدات والانطباعات عما رأيته في هذه البلاد.

أطـوف حـول زوايـا الأرض أدرس أحـ ـوال الشعوب ومـا صـاروا ومـا كـانوا
مسـتلهما عـبر التـاريخ أجعلـها قصـدي ففيهـا مـن التـاريخ تبيـان

وإن الحافز إلى كتابة ذلك هو إيجاد مجموعة من كتب الرحلات الحديثة باللغة العربية التي تعتبر من أقل اللغات الحية في كتب الرحلات الحديثة التي كتبها أبناؤها بلغتهم العربية، ومحاولة نقل الصورة عن هذا البلد مما انطبع في الذهن، وإحياء فن عربي قديم في أدب الرحلات حيث كان أسلافنا من الرحالة هم أربابه وأصحابه، ولهم أشعار وكتب وأسفار حيث طافوا ورحلوا في مختلف بقاع العالم وجابوا آفاق الدنيا.

وكانت رحلاتهم مصدراً من مصادر التاريخ والجغرافية واللغة والأدب وتجسد الكثير من القيم والأصالة والحقائق التاريخية والجغرافية والأدبية

والاجتماعية فهي ذخائر نفيسة، عسى أن أكون بذلك قد قدمت لهذا الفن الأدبي واللغة العربية الخالدة مما يجده القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب.

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

عبدالله بن حمد الحقيل

الرياض

في كوريا الجنوبية

في الساعة العاشرة والنصف مساء يوم الاثنين ٤/ ١/ ١٣٩٩هـ غادرت مطار الظهران على طائرة البوينج الكورية متوجهاً إلى سيول عاصمة كوريا الجنوبية ضمن الوفد السعودي، وقد أخبرتنا مضيفة الطائرة بأننا سوف نرتفع إلى ٢٧ ألف قدم، وسنهبط في الصباح في مدينة بانكوك عاصمة تايلاند للتزود بالوقود ومن ثم استئناف الرحلة إلى كوريا. وفترة الرحلة ثماني عشرة ساعة بالتمام والكمال.

فالتفت إلى أحد الزملاء قائلاً: ستكون الرحلة شاقة، وقلت له: هل سنبقى هذه الفترة الطويلة بين طيات الغيوم والسحب؟

ترقصنا الرياح بكل عنف وقانا الله شر الطائرات

فقال: نعم، فقد سبق أن ذهبت في رحلة مماثلة، وقال مازحاً: ستكون الرحلة أطول من الساعات التي حددتها المضيفة، وهكذا بقينا معلقين في الجو طوال الليل، وكانت العواصف على أشدها، فنحن نتجه للشرق الأقصى وإلى بلاد لا نعرفها وفيها الكثير من الجبال والبراكين والبحار.

ومضت الطائرة تشق أجواز الفضاء في هدوء مهيب تلهب في الذهن الخيالات الكثيرة، ومرت شتى الخواطر في ذهني وعاد بي الخاطر متذكراً المكتشف الأول للطيران العالم المسلم عباس بن فرناس رغم ادعاءات البعض من المؤرخين الذين يغيظهم أن يكون المخترع الأول عربياً ومسلماً.

نعم، فقد أعطى أولئك سر اختراع الطائرة. ورحت أسائل نفسي لو نجح

عباس في محاولته كيف سيكون وضع الطيران في العصر الحاضر؟

وخلال تلك الأفكار التي كنت أناقش فيها أحد رفاق الرحلة، وكان النوم يغالبه بسرعة جاءت المضيفة الكورية وكانت في غاية النشاط وتمرق في الممشى كمروق السهم وتغدق علينا بنظراتها لمعرفة ماذا نريد، فهي قد اعتادت هذا الأسلوب من الحياة، وقد تجد في ذلك متعة وراحة.

وبعد انصراف الهزيع الأول من الليل استأذنتنا في إطفاء الأنوار ليتسنى لمن يريد النوم أن ينام هادئاً، وأحضرت ما يشبه النظارة السوداء لنضعها على عيوننا أو لنعصب بها عيوننا ولكنها ناعمة ورقيقة ولا يتسرب من خلالها الضوء لينعم النائم بالهدوء والأحلام السعيدة. ولكن كيف لي ذلك فأنا من الناس الذين لا يعرف النوم سبيلاً إلى أعينهم في الأسفار سواء في الطائرات أو السيارات؟! وأحمد الله على ذلك، فبقيت وحدي بعد أن نام الرفاق أردد قصيدة امرئ القيس في مناجاته لليل:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وغير ذلك من القصائد والأشعار .. ولم يطرد عني تلك الوساوس في الليل الدامس الرهيب إلا انبثاق إشعاع الفجر حيث نهضت لتأدية صلاة الفجر، ولكم شعرت بالراحة والسكينة بعد ذلك، وبقيت أتأمل في قدرة الخالق وأردد قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[1]، وأخذت أشاهد هذا الكون العظيم من ثقب نافذة الطائرة الذي هو من آيات الله، وكنا نعبر أرض تايلاند الخضراء حتى أشرفنا على العاصمة بانكوك

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

ونظرت لساعتي فإذا بالتوقيت حسب بلادنا الخامسة صباحاً وحينما هبطت في المطار فرنوت للساعة المعلقة في قاعة الانتظار فوجدتها العاشرة والنصف صباحاً.

غادرنا بانكوك بعد أن أمضينا فترة من الراحة في حدود ٤٥ دقيقة، ولم نستطع خلالها أن نستريح، حيث كانت مكبرات الصوت تتوالى في نداءاتها تعلن قيام الرحلات والإشعار عن وصول الرحلات القادمة، ومطار بانكوك مطار دولي كبير، كما أن قاعة الانتظار تحوي أسواقاً حرة للبيع.

وفيما نحن نتجول بين جنبات المعارض ونشاهد ما فيها من التحف والهدايا وأنواع البضائع المختلفة، وإذا بأحد الإخوان يربت على كتفي قائلاً: أسرع فقد صعد الركاب للطائرة، وهلم بنا، فذهبنا مسرعين نحو الحافلة التي جرت بنا نحو باب الطائرة، وبعد لحظة أقلعت الطائرة مواصلة رحلتها نحو كوريا طوال يوم كامل.

ووصلنا «سيول» العاصمة في تمام الساعة السابعة مساء بتوقيت سيؤول وكان الجو ممطراً والبرد قارساً، ودرجة الحرارة ٢ تحت الصفر، فكان المناخ بارداً جداً، وكان في استقبال الوفد عدد من المسؤولين الكوريين، وسعادة السفير السعودي، وبعد استراحة قصيرة في المطار انطلقت بنا السيارة متوجهين نحو الفندق وسط وابل من المطر.

وكنت أشاهد الناس يجرون في الشوارع بكل قوة وعزيمة وتصميم. وبحركات سريعة خفيفة، فالمطر بالنسبة لهم شيء عادي، كما أن البرد كذلك، رغم أجسامهم النحيلة، ولقد كان المرافق الكوري يتكلم لي بلغة ثلاثة

أرباعها كوري، وجزء منها إنجليزي، حينما كنا نعبر شوارع العاصمة، ورغم أني لا أعرف كلمة واحدة من اللغة الكورية ، فقد كنت أكتفي بهز رأسي حينما يتطلع إليَّ في انتظار الإجابة.

لقد حرصت قبيل سفري أن أدون بعض الكلمات في مفكرتي حيث أخذتها من بعض الكوريين العاملين في بلادنا، ورصدت مجموعة من الكلمات، وكنت متباهياً بجمع هذه الألفاظ مما سيساعدني في عملية المخاطبة والتفاهم، وحينما صعدت لغرفتي وفتشت حقيبتي وتحسست جميع جوانبها أدركت أني قد نسيت تلك المفكرة التي أمضيت ساعات في جمع تلك الكلمات وتبويبها وتنظيمها.

لقد كنت أحرص دائماً قبيل سفري لأي بلد أن أستعلم عن عاداتها وتقاليدها ومناخها وتراثها وما إلى ذلك، مما ينبغي أن يعلم به المرء ويعنى به.

ورحم الله أسلافنا الذين وصلوا إلى هذه الديار في الزمن الماضي، فقد جاء في كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة أن بعض التجار المسلمين وصلوا إلى كوريا.

لقد أتيح لنا في هذه الرحلة التعرف على الكثير من النشاطات الصناعية والثقافية ومشاريع الإسكان والصناعات الإستراتيجية، فهم يعملون بلا كلل ويحرصون على تعويض ما فاتهم من أسباب الحروب، فلقد أصيبت بلادهم بحروب طاحنة كانت نتائجها الخراب والدمار، ومع ذلك استطاع الكوريون الجنوبيون أن يعملوا بجد وحزم ويصمدوا أمام تلك المصاعب، فأخذوا يضاعفون العمل ويتسابقون في ميدانه، فدوام العمل لديهم أكثر من عشر

ساعات وقد حصدوا بالفعل نتائج المثابرة والتصميم والعمل المتواصل الجاد، وقد تجسد في هذه النهضة والتطور الاقتصادي والزراعي في مختلف المجالات، علماً بأن كوريا تتكون من عدة جزر يبلغ مجموعها كما سمعته منهم ٣٥٠٠ جزيرة، وعدد السكان يتراوح بين ٣٧ مليوناً إلى أربعين مليوناً.

ولقد كان لزيادة ساعات العمل لديهم مردود اقتصادي حققوا من خلاله معدلات في الزيادة والإنتاج، وبذلك تحسن مستواهم الاقتصادي، فالمسألة مسألة صبر وتضحية وعزيمة.

إن العاصمة «سيؤول» مدينة واسعة كبيرة، ويبلغ سكانها سبعة ملايين نسمة، والشيء اللافت للنظر أنك لا تحس بالازدحام والتكدس والاختناق الموجود في بعض العواصم، ولا تسمع للأبواق صوتاً، كما لا تلاحظ ضغطاً أو تزاحماً في عملية المرور، ولعل ذلك يعود إلى تخطيط وتصميم المدينة فهي مصممة بشكل هندسي جميل، كما أن أحياءها غير ملتصق بعضها ببعض، فهناك مسافات تفصل بعضها عن بعض.

لقد تجولنا في شوارع العاصمة، ودخلنا الكثير من المعارض والمتاجر تحت الأرض، والشيء اللافت للنظر سرعة الناس وهم يجرون في الشوارع ويتحركون بخفة ورشاقة، ولا شك أن خفة أجسامهم وعدم ترهلها مما يساعد على الحركة والنشاط، كما أنهم لا يأكلون كثيراً.

وقد سألت الكثيرين ممن التقيت بهم عن ذلك فقالوا: إننا نأكل بمقدار محدد ونتجنب الدهنيات وبالفعل فقد لاحظت أطباق أرز دون سمن، كما يستعملون الثوم بكثرة، ولقد حكى لي أحد الإخوان قائلاً: إن اليابانيين

أصبحوا يحسدون الكوريين على رشاقة أجسامهم وخفتها فصاروا يحذون حذوهم في تناول كميات من الثوم إلى جانب تناولهم لكميات من حبوب وشراب «الجنسون»، وهو أشبه بالشاي الأخضر، وهو من خلاصات الأعشاب المتنوع كما فهمت منهم، وهو منتشر بشكل واسع، فكلما دخلنا متجراً أو معرضاً عرضوا علينا كميات منه ونصحونا بشرائه قائلين: سوف ترون فيه الفائدة الصحية إلى غير ذلك من أساليب الدعاية والتأثير وقد حدثونا قائلين إن عمر الشجرة يصل إلى أربع سنوات ويعود إنتاجها من جديد كما أن المطر والرياح يؤثران عليها، والعجيب أن هذه الشجرة منتشرة في الشرق الأقصى حيث رأينا ذلك في الصين والفلبين وتايلاند وكلهم يستعملونه وتدر عليهم أرباحاً هائلة ولدى البائعين أساليب شتى في اجتذاب الزبون ولديهم طرق عجيبة في طريقة عرض السلع وبيعها ويحضرون ما تريده في سرعة مذهلة.

والواقع أن هذه الأيام القليلة قد أعطتني حصيلة طيبة وهي مجرد انطباعات شخصية لا تعدو أن تكون بمثابة ذكرى متواضعة للأيام التي أمضيتها في تلك البلاد بل هي ملامح مما علق في الذاكرة من مشاهد ومواقف قد تكون في بعض الأحيان طرائف.

وأحسب أن القارئ الكريم سيجد بين فصولها ما يمتعه وبطبيعة الحال فالقارئ محب وتواق إلى الاستطلاع ومعرفة أحوال الأمم والبلاد وخاصة حينما تكون ذات أسلوب خفيف.

ولنعد لاستئناف فصول الرحلة فقد وجهت لنا دعوات إلى تناول الوجبات

في المطاعم الكورية التقليدية على طريقة الضيافة الكورية الأصيلة، وعند الدخول لتلك المطاعم لا بد من خلع الأحذية واستبدالها بنوع آخر يكون ناعماً، ولقد فرشت الأرض بالخشب والجلوس أمام مناضد قصيرة جداً تكاد تلامس الأرض ويكون الجلوس على وسائد ناعمة ويحضرون الطعام بمختلف ألوانه وأنواعه، ومذاق الأكل يتميز بروائح سيئة من كثرة ما يحتويه من البهارات وأغلبيتها حار جداً، كما أن هناك مضيفين يساعدون على تقديم الأكل واختيار ما يكون مناسباً وموافقاً لمزاج الشخص، وقد كانت الفلافل كثيرة والأسماك أنواع شتى منها الحار والبارد والمقلي والنيء إنها أشكال وألوان لم نعرفها ولم نشاهدها، ولقد التفت إلى أخي عبدالرحمن البيز القائم بأعمال سفارتنا هناك أستفسر منه عن هذه المأكولات فقام مشكوراً بالشرح والإيضاح لكل الأنواع التي قدمت لنا، وكان بها خبيراً لطول مقامه ومعرفته بهذه الأصناف.

ولقد كانت تلك الأنواع من الأشياء الممتازة والمفضلة لديهم ولكنها لم تكن مفضلة لدي فبقيت ألتقط من هنا وهناك لقيمات يسيرات خاصة وأن الفلافل والتوابل مليئة بها تلك المائدة وأنا من النوع الذي لا يطيق أكل الحوار.

وخرجنا من المطعم بعد أن غمرونا بلطفهم ووداعتهم وحسن ضيافتهم واجتزنا شوارع العاصمة التي كانت جميلة ونظيفة ومنسقة تطل عليها عمارات كبيرة ومعارض تجارية جذابة الشكل.

ذهبت مع مجموعة من الإخوان للتجول في شوارع العاصمة، وكانت أشكالنا وسحنتنا تدل على أننا غرباء فكانوا ينادوننا لدخول محلاتهم وشراء

البضائع المعروضة فيها، ويخيل للبعض من شدة ملاحقته لنا أننا صيد سمين يجب أن يمسك به وألا يتركه للآخرين فكانوا يغالون في أسعار البضائع التي يعرضونها علينا.

ولا بد من المفاصلة معهم والتشدد ما يجعل الرجل الطيب يقع فريسة لهم، ولقد اشتريت من أحد المحلات أحجاراً كريمة وعند فحصها لدى خبير في ذلك في عواصم أخرى تبين أنها تقليدية ولا تساوي شيئاً، وأعتقد أن ذلك موجود في كثير من عواصم بلدان الشرق الأقصى، فلا بد أن يكون المرء على جانب من الحذر والدقة حين شراء الهدايا والحاجات؛ لأن التقليد كثير والمصانع جاهزة لعمل أي شيء، وعلى سبيل المثال فقد سألت عن مسبحة تماثل المسبحة التي كانت في يدي وقد طلب مني أحد أصحاب المحلات أن أعطيه إياها ويحضرها غداً مع أنواع شبيهة بها، وبالفعل وجدنا عشرات المسابح وقد أحضرت وبكل دقة، ولقد لاحظت ذلك في كل من بانكوك وهونج كونج وسنغافورة فهم يصنعون كل شيء حتى ثيابنا العربية أخذوها وعادوا بمثلها في اليوم الثاني مخيطة وبشكل دقيق؟

وهكذا أمضينا أياماً جميلة في كوريا ولعل من أحسن الانطباعات التي تركت في نفوسنا أثراً طيباً هو حرصهم على الوقت والاستفادة منه وتنظيمه بشكل يعود بالمصلحة، فلا تجد من يمشي بعد الساعة الثانية عشرة ليلاً حيث تطبيق نظام حظر التجول الساري تطبيقه منذ مدة طويلة وما زالوا ملتزمين به، وقد كان عاملاً كبيراً في مساعدتهم على تنظيم الوقت وزيادة الإنتاج والعمل والعطاء، وحين أخبرني أحد الأخوان بذلك كنت أظنه مازحاً وقد روى لي

قصصاً كثيرة وطريفة لزوار كثيرين من العالم العربي يأتون إلى هنا دون أن يكون لديهم علم بنظام التجول ليلاً فيدركهم الوقت فيضطرون للمبيت في المكان الذي كانوا فيه سواء كان مطعماً أو متنزهاً أو زيارة صديق أو سوى ذلك.

ومن خلال نافذة غرفتي في الفندق حرصت على مشاهدة الشوارع بعد الثانية عشرة فوجدتها بالفعل مقفرة وخالية تماماً من الناس حتى الساعة الرابعة صباحاً حيث يستيقظون مبكرين ويجرون بسرعة إلى أعمالهم ومصانعهم.

وخرجت في الصباح الباكر أرمي بصري يمنة ويسرة كالناظر المعجب لجد هؤلاء وانهماكهم في العمل وحب الجد والنشاط.

وبعد تمضية أيام جميلة ودعت أولئك الإخوة من موظفي السفارة السعودية والطلبة الذين يدرسون في هذه البلاد مردداً قول الشاعر:

وما كان يبكيني التلاقي وإنما وراء التلاقي لاح ظل المودع

***

جولة في الفلبين

ودعنا سيول وتوجهنا إلى مانيلا عاصمة الفلبين في السعة الثامنة من صباح يوم الأحد: ١٢/١/١٣٩٩هـ توجهنا صوب الفلبين مودعين أصدقاءنا الكوريين الذين ابتسموا لنا قائلين: مع السلامة، وصعدت للطائرة وجلست بين رجلين أحدهما فلبيني والآخر من تايلاند، فكانت فرصة للحديث معهما حول بلديهما وتعريفهما ببلدي، ولقد حدثني الفلبيني عن بلاده وأن بها ٧٠٠٠ سبعة آلاف جزيرة، ثم جاءت مضيفة الطائرة تسألنا عما نريد أن نشرب، فقلت: عصير برتقال فاستغربت لهذا الطلب، فقالت المضيفة: إن لدينا مشروبات أخرى والتفت إلي التايلاندي قائلاً: إن المشروبات هنا مجاناً، فأخبرتهم بأني مسلم والمسلم لا يجوز له أن يحتسي المشروبات المسكرة، فبدا عليهما الدهشة فكانت فرصة للحديث عن الإسلام وقواعده وأسرار تشريعاته، والحكم العظيمة التي يتضمنها التحريم، والمصالح المترتبة على ذلك، وقد جاملاني فطلبا عصير برتقال، وقد سألت الفلبيني عن الإخوان المسلمين في الفلبين، وكم عددهم، وما هي مناطقهم؟

وقد تبين لي أنه مسيحي كاثوليكي ومتعصب لمسيحيته، قال: إن المسلمين قلة وليس لهم شأن، فقلت: ليست العبرة بالكم، وإنما بالكيف، ورغم قلتهم قد استطاعوا بعون الله وتأييده أن يواجهوا تحديات طويلة، وصمدوا بفضل نصر الله لهم، ثم تحدثنا عن اللغات التي يتكلم بها الفلبينيون، فقال: إنها تزيد عن سبعين لغة، كما أن بلاده تضم أكثر من خمسة عشر ألف نوع من الزهور

والورود، وبها من الطيور ما لا يوجد في العالم كله.

وهكذا استمرت الرحلة ثلاث ساعات ونصف حتى وصلنا إلى مانيلا العاصمة، حيث أضيئت الأنوار في الطائرة لحزم المقاعد والاستعداد للهبوط، واهتزت الطائرة بعنف في مطار العاصمة، وكان الجو دافئاً ,حاراً، وقد كنا منذ ساعات في كوريا نرتعد من شدة البرد، وبعد انتهاء الإجراءات في المطار والخروج من بوابة المطار تجمع حولنا عدد من سائقي سيارات الأجرة، حتى جاء شاب طويل القامة فنهرهم وقال: إن لدي سيارة مكيفة فانتظروني لإحضارها، وفجأة وقف بسيارته أمامنا وأخبرناه بالفندق الذي نود النزول حيث حجزنا فيه من مكتب استعلامات المطار، وقد كان الطريق ١٢ كيلو متراً، وكان السائق طيباً إذ لم يكن فضولياً وثرثاراً كعادة السائقين الآخرين الذين نقابلهم، فكان صامتاً لا يتكلم حتى نسأله، ووصلنا إلى فندق «هيلتون» وكان على جانب من الفخامة والروعة حيث شلالات المياه الصناعية وقاعات الجلوس الجميلة على جوانبها، وصعدنا لغرفنا نلتمس الراحة والهدوء.

إن الفلبين بلاد واسعة تضم ألوف الجزر وقد أخذت اسمها من الملك فيليب الثاني أحد ملوك إسبانيا فقد دخلها الإسبان مع البرتغاليين الذين حكموا هذه الجزر وأقاموا فيها ولقد استقر الأسبان فيها ولا تزال اللغة الإسبانية والكثير من العادات والتقاليد الإسبانية شائعة كما أن الكثير من أسماء الشوارع والمطاعم والمدن تحمل الأسماء الإسبانية إلى جانب أن دين الدولة مسيحي كاثوليكي وقد نقله الإسبان، وتكاد تكون الفلبين هي الدولة المسيحية الوحيدة في شرق آسيا، ولقد حرصت على زيارة معالم مانيلا

ومناطقها السياحية عبر شركات السياحة ولقد كان الجو لطيفاً والسماء ملبدة بالغيوم والسحب مع سقوط مطر خفيف ولقد أمضيت في هذه الجولات عدة ساعات تجولنا خلالها على مختلف معالم المدينة. ويطلقون على مانيلا جوهرة المحيط، كما قمنا بزيارة لمتاحفها ومناطقها الأثرية وأحيائها القديمة وضواحيها المجاورة كما شاهدنا الحي الصيني وقصور الأسبان.

كما أن الصينيين يمثلون جالية كبيرة ولهم مطاعمهم وتقاليدهم كما قمنا بجولة على شاطئ المدينة وميناؤها الكبير وعدنا إلى الفندق وقد فاتنا موعد الغداء حيث أغلق مطعم الفندق أبوابه، فخرجنا نبحث عن مطعم قريب من الفندق وصدفة التقينا بأحد الإخوان السعوديين ففرحنا به وابتهج بوجودنا حيث كان وحيداً وكانت خبرته بالمدينة واسعة فهو يتردد على مانيلا منذ مدة للتعاقد مع العمال فذهبنا سوياً إلى مطعم هندي وتناولنا الغداء فيه وقد عرف أصحاب المطعم بأننا عرب فحيونا بعبارة السلام عليكم، وتبين أنهم لا يعرفون من اللغة العربية سوى هذه العبارة ومع ذلك فقد كان لهذه التحية وقع في نفوسنا وإن كانوا لا يشاركوننا في العاطفة الدينية حيث عرفت أنهم غير مسلمين فقلت لصاحبي: ألا يوجد مطعم يملكه مسلمون نذهب إليه؟

فأفاد بعدم وجود ذلك، وفي اليوم الثاني قمنا برحلة أخرى لبعض متاحف المدينة وحدائقها ومتنزهاتها وضواحيها.

كانت رحلتنا ضمن وفد سياحي ومع شركة سياحية وقد بدأت الرحلة بالمرور على بعض متاحف العاصمة وقصور الأسبان القديمة، ولقد لاحظت أن المرشدة وهي بالطبع مسيحية كاثوليكية لم تشر في شرحها إلى أي شيء عن

تاريخ الإسلام والمسلمين في هذه البلاد مما يدل على التعصب وعدم الاكتراث والاهتمام بهم فدفعتني الغيرة الإسلامية والعاطفة الدينية إلى عدم السكوت على موقف كهذا ولا بد من لفت النظر فبادرت بطرح سؤالين عن تاريخ الإسلام والمسلمين هنا ورجوتها أي المرشدة الإجابة عبر الميكرفون.

ثم أردفت قائلاً: أيهما أسبق إلى هذه البلاد؟ المسلمون أم الإسبان؟؟ فالمعروف تاريخياً وعلمياً أن المسلمين نقلوا الإسلام إلى جزر الجنوب؟ فامتعض وجهها وارتبكت في إجابتها وقالت: أنت تعرف تاريخ بلادنا؟

فقلت: نعم وعليكم ألا تقفوا موقفاً معادياً للإسلام فتهملوا واقع المسلمين وتاريخهم وتراثهم وقصدي من ذلك أن يكون الإنصاف رائدكم فأنتم تلتقون يومياً بمئات السياح وعليكم كمكاتب سياحية أن تقولوا الحقيقة لهم وذكر تاريخ الإسلام والمسلمين خلال استعراضكم للنواحي التاريخية، وأخيراً أبدت شكرها لهذه الملاحظات وقالت: في رحلاتك القادمة معنا سوف تكون راضياً وستسمع ما يسرك.

فقلت: كونوا دائماً أوفياء للحق والقيم والتاريخ، وفي المساء زارنا في الفندق بعض الإخوان فخرجنا سوياً نتجول في ميادين المدينة ومشاهدة أسواقها ومبانيها وكانت الأسواق ممتلئة بالناس والبضائع وقد ساعدنا لطف الجو على الحركة والتجوال وشراء بعض الحاجات والتحف الجميلة مما تشتهر به الفلبين، ولقد تمكنا من الطواف على مختلف الشوارع الرئيسية ولقد لاحظنا أن الأسعار رخيصة جداً مما يدفع الإنسان ويغريه بالشراء فالحرير والأصواف والأحذية كلها تباع بأسعار رخيصة جداً مما جعلنا نشتري كثيراً وفي النهاية نتركه في الفندق.

تلقينا دعوة من أحد الإخوة السعوديين بتناول طعام الغداء في إحدى الضواحي الجميلة وكان الجو لطيفاً، فذهبنا إلى هناك حيث الخضرة والأشجار الوارفة والهواء العليل، فمدينة مانيلا تقع على شاطئ البحر وفي منطقة كلها خضراء، كما أن مناظر الأرياف والقرى تبدو خضراء فأمضينا وقتاً ممتعاً وسط الأشجار والغابات ومنابع المياه ورأينا أطباقاً شتى من أنواع الأسماك مما تشتهر به الفلبين.

وفي المساء عدنا أدراجنا صوب العاصمة، وقد سألني سائق السيارة ونحن في الطريق: وهل يوجد في بلادكم هذه المناظر؟

فقلت له: نعم، ففي أجزاء من بلادنا مناظر رائعة وكلما نزل المطر تحولت صحراؤنا إلى مناظر خلابة ومشاهد فاتنة، وأثناء عودتنا مررنا بشارع ديوي على خليج مانيلا فرأينا الأنوار تتلألأ، وأضيئت الأنوار أمام واجهات المحلات بشكل يلفت النظر فسألت عن ذلك فقالوا: إن ذلك استعداداً للاحتفال بأعياد الميلاد ورأس السنة ووضعت شجرة الميلاد كما يقولون أمام واجهات المحلات فنزلنا نتمشى على أقدامنا رغبة في الفسحة والنزهة وممارسة رياضتنا المفضلة «المشي».

ولكن الرطوبة الشديدة تنغص على المرء الاستمرار في السير إلى جانب الازدحام الشديد بالناس كالبضائع بعضها فوق بعض، وكان الناس ينظرون إلينا على أننا أناس من جنس آخر، فكان الباعة يلاحقوننا وأصحاب التاكسيات يتزاحمون حولنا، وعند ناصية أحد الشوارع أوقفنا سيارة أجرة وطلبنا من سائقها أن ينطلق بنا نحو الفندق، ووسط زحام السيارات والمشاة

وصلنا الفندق وصعدنا إلى قمته في الطابق الحادي والعشرين لتناول طعام العشاء ومشاهدة جوهرة المحيط تتلألأ بأنوارها وتزدهي بجمالها وشاطئها البديع الذي يمتلئ بالسفن والزوارق البخارية، والناس هنا في الفلبين يمتازون بهدوء الأعصاب والفئة التي تعمل في الفنادق تختلف عن الفئات الأخرى، ولعل ذلك يعود إلى كثرة مخالطتهم للأجانب حرصاً على إعطاء الصورة الطيبة.

وفي الصباح الباكر نزلت إلى قاعة الفندق، وصدفة جلس بقربي شخص يبدو من ملامحه أنه فلبيني، ثم جاء شخص آخر وإذا به ينادي على اسمه «عمر» فالتفت إليه محيياً فقدمت له اسمي فقام بكل حماس مرحباً ومحيياً فإذا به أحد إخواننا المسلمين! حقاً ما أعظم رابطة الإسلام! فسرعان ما كنا إخواناً وأصدقاء، فذهب يخبر أصدقاءه وكان فرحاً مسروراً ومبتهجاً، حضروا وجلسنا نتحدث أحاديث الأخوة الإسلامية، وكان أحدهم على جانب من الثقافة والمعرفة بأصول الفقه والتفسير وشديد الاحترام للحديث النبوي، وكان متألماً لواقع المسلمين، وحريصاً على أن يعود لهم مجدهم وعزهم، فشكرتهم على شعورهم الإسلامي الكريم وعلى محافظتهم على دينهم وتمسكهم بشعائر الإسلام كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]، إلى غير ذلك مما وجدت نفسي مدفوعاً إلى أهمية الحديث فيه إلى جانب الابتعاد عن البدع والخرافات التي أفسدت على الكثير من المسلمين دينهم، ثم انصرفنا حيث كنت على

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

موعد مع أحد مكاتب الطيران لترتيب الحجز والسفر والقيام برحلة نهرية إلى «باكس هاين» فيها الكثير من جمال الطبيعة والأشجار الباسقة والمطر والسحاب، وكل جزر الفلبين التي زرناها حباها الله بجمال الطبيعة وربوعها الخضراء.

وكانت رحلة غير مملة حيث شاهدنا البحر والنهر والجبل والسهل ولمحات من الحياة ومرافق السياحة وجمال الطبيعة في الأرياف والضواحي، وجزر الفلبين جوها صيفي في أغلب أيام السنة ولكنه يزدان بالسحب والأمطار كسائر البلدان التي تقع على خط الاستواء، وكانت رحلة رغم طولها لا تخلو من جمال التأمل ومتعة النظر ومشاهدة جمال الطبيعة والبحر والنهر والخضرة والأرض والناس على امتداد الرحلة واختلاف اللغات، وتذكرت المغامرين الرحالة الذين يرتادون الجزر والجبال والكهوف بهواية الرحلات والبحث عن المجهول وحب الاستطلاع في زمهرير الشتاء في مناطق القطب المتجمد، وفي غيره من المناطق والجزر الحارة صيفاً وفي البر والبحر، وتذكرت تاريخ البرتغاليين والإسبان والهولنديين الذين استعمروها.

وبعد تمضية رحلة في هذه الجزر وسط المحيط عدت إلى عاصمة هذه الجزر «مانيلا» وخلال جولات متلاحقة كنا في حاجة إلى الراحة قبل السفر ثم التأهب للسفر على حد تعبير الشاعر:

ما آب من سفر إلا وأرقه ... شوق إلى سفر بالبين يجمعه

كأنه وهو في حل ومرتحل ... موكل بفضاء الله يذرعه

وحينما كنت في شرق آسيا وفي مدينة مانيلا عاصمة الفلبين التقيت بأستاذ

جامعي مثقف ولكنه يدين بغير الإسلام وكان يجهل الكثير من الإسلام وحقائقه وعن الفكر الإسلامي ومعطياته، وقد وصف الأدب العربي بأنه أدب متخلف ويفقد صفة المعاصرة.

فقلت له: إنك لم تقرأ شيئاً من آثار الفكر العربي الإسلامي ولا تعرف شيئاً عن آثار الأمة الإسلامية وإن ما سمعته منك هو تكرار لأقوال أعداء ممن يعادون الإسلام عداء شديداً وباعتبارك أكاديمياً يؤمن بأهمية البحث عن الحقيقة من مصادرها فكان الأولى بك أن تدرك ذلك وتتصل بأساتذة الثقافة الإسلامية وبالمختصين في فهم الإسلام وما ينطوي عليه من مبادئ وقيم وسلوك وتشريع وثقافة ومعرفة وفكر، فلو حاولت ذلك لوجدت أنك أمام نور وضياء من المعرفة ليس له نظير.

إن الثقافة الإسلامية ذات جذور عميقة تحتوي المعارف والثقافات، وصفحات التاريخ تجسد ذلك، إذ إن الكثير من العلماء أصبحت لهم شهرة عالمية، والكثير من الجامعات في الشرق والغرب لديها المعجمات التي تحفل بذكر أولئك الأسلاف، فمن لا يعرف الغزالي وابن رشد وابن سينا؟ والفارابي والجاحظ والمسعودي وابن خلدون وابن حنبل والشافعي والخوارزمي وابن الهيثم؟

فالتراث الإسلامي متألق بالفكر والمعرفة المتجددة وعدم الإنغلاق أو الجمود وإنه لأمر مؤسف أن يظل الجهل بالإسلام حيث أصبحت المعرفة متاحة في هذا العصر.

وبالنسبة للأدب العربي وإطلاق صفة التخلف عليه فهذا الحكم جائر وغير

لائق من أستاذ جامعي ينبغي أن يكون معاصراً ومتفاعلاً مع المعرفة والآداب العالمية الأخرى يتابع عطاءها ومسيرتها وإنتاجها، فماذا تعرف عن الأدب العربي؟

فحكى لي عن كتاب ألف ليلة وليلة، فقلت له: إن الأدب العربي قديماً كان يمثل فكر الأمم بأجمعها في مختلف عصور الحضارة حيث كان يمثل الحكمة والثقافة حتى الأمم التي تدين بغير الإسلام كانوا يتتلمذون عليه ويأخذون من معارفه وفوائده حيث كانت الأمم توفد أبناءها لتلقي العلم والأدب في مراكز الثقافة الإسلامية فيأخذون الأدب والمعرفة ثم يعودون إلى بلادهم لينشروا فيها ما أخذوه وما تعلموه في عواصم الإسلام في غرناطة وقرطبة والقيروان وغيرها من عواصم البلاد الإسلامية، لقد كان الأدب العربي أدباً مزدهراً كل الازدهار.

وهكذا أمضينا ساعات من الحوار الهادف عن الفكر الإسلامي والأدب العربي حينما وجدت محدثي محباً للاستزادة ومتطلعاً إلى المعرفة بحقائق الإسلام، وعن الحضارة الإسلامية التي أبدعها المسلمون، وبعد مضي يومين على لقائنا وجدت رسالة منه تتضمن اهتمامه بدراسة الكتب الإسلامية الموجودة في مكتبة الجامعة وأسأل الله له الهداية.

إن الكثير من أعداء الإسلام يشوهونه لينفروا الناس، وإن واجب المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة في كل مكان سلوكاً وتعاملاً لتصبح الأمة الإسلامية كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتدعو إلى الهدى، ولنبذل في ذلك كل جهد للتعريف بالإسلام، وتصحيح الفهم الخاطئ

والمعلومات الكاذبة على شريعته والصور المشوهة للمنتمين إليه.

وعدت بعد ذلك لغرفتي في الفندق للاستعداد للسفر، ثم أخذت طريقي للمطار، وأخذنا الطائرة في رحلة أخرى.

وكان الجو مشرقاً مما مكننا من رؤية الأرض والبحر حتى وصلنا إلى منطقة تتعاقب فيما تحتها الجبال مع البحر وكان الجو صاحياً ما عدا قطعاً من الغيم الأبيض المتفرق وكثيراً ما أعلنوا ربط الحزام حتى قربت من العاصمة الباكستانية وبدت معالمها وصفق الركاب تصفيقاً حاداً ذكرني بتصفيق الركاب الأمريكيين عندما هبطنا في إحدى الرحلات من روما إلى شيكاغو خلال رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

***

تجوال في باكستان

كنت أترقب بتشوق زيارة الباكستان.

وفي تمام الساعة الرابعة صباحاً من يوم ٢٢/ ١/ ١٣٩٩هـ غادرت عاصمة الفلبين «مانيلا» متوجهاً صوب كراتشي، وكنت طوال الليل قد أمضيته في المطار حيث تأخر إقلاع الطائرة، كما أن الطائرة التي كنت قد حجزت عليها في الساعة العاشرة مساء قد ألغيت رحلتها، ومع هذا فلم أجزع أو أتبرم، بل رددت قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

ولحسن الحظ فقد التقيت في المطار بمجموعات من أبناء الوطن العربي ممن حضروا الدورة الرياضية في بانكوك، وكان منهم اللاعب والحكم والمشجع والإعلامي، وقد كان الانتظار طويلاً رغم المناقشات والمسامرات حول الرياضة وشجونها، ورغم أني لا أهوى الكرة ولا أفهم أحكامها ولكن دفعني إلى مناقشة ومسامرة هؤلاء وسؤالهم عن ذلك الرغبة في تزجية الوقت مردداً قول الرصافي:

الليل قد طال على من شكا ... وصار ليلاً بارداً مظلماً

وفي الساعة الرابعة صباحاً اكتمل عدد الركاب وصعدنا للطائرة الباكستانية من نوع «بوينج» وأقلعت من المطار فأخذت طريقها في البداية في جو هادئ وسماء صافية، ولكن بعد مدة بدأت تعلو وتهبط وكأننا في جو مصارعة ثم هدأت بعد مضي ساعة ونصف، وكان خط الرحلة طويلاً حيث مكثنا ثماني

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

ساعات بعدها هبطت في مطار كراتشي، فنزل بعض ركاب الطائرة وآخرون واصلوا رحلتهم إلى البحرين.

وطوال الرحلة كنت أستعرض في ذهني قصة قيام باكستان واستقلالها وما قام به محمد علي جناح وإخوانه وهم يمارسون ببطولات نادرة قضية الاستقلال، ويخرجون بانتصار يشرف المسلمين جميعاً، وكذا كنت أستعرض في ذهني أشعار محمد إقبال وقصائده التي جاءت مشرقة وضيئة وتتلألأ عليها أنوار الأدب الإسلامي العميق .. ومن ذلك قوله:

لا ترى المسلم يحويه عطن ... تائه في قلبه كل وطن
أمة ملء البرايا أسساً ... وضع التوحيد فيها أسساً
أسبغ الفضل علينا وهدى ... صير الأرض جميعاً مسجدا

وكما يقول داعياً إلى الرابطة الإسلامية:

يا أمين السر من أم الكتاب ... هل إلى وحدة ماضينا إياب

لقد كان إقبال شاعراً فيلسوفاً وقف شعره على بعث مجد الإسلام وعلى البحث عن جواهر ونفائس التراث الإسلامي الخالد وشرح آثاره ومبادئه.

وكلما قرأت شعر إقبال وجدته مشتملاً على نبضات حية وشعور قوي متدفق بالروح الإسلامية وتنبيه المسلمين إلى ما يتعرضون له من مطامع وما يحدق بهم من مخاطر.

ورحم الله الدكتور عبدالوهاب عزام الذي ترجم شعر إقبال ونقله إلى اللغة العربية، ولكم التقيت به في جامعة الرياض يوم كان مسؤولاً بها ومحاضراً فكان يتحدث بإعجاب عن هذا الشاعر ويستشهد بشعره كثيراً،

ويقول إقبال مصوراً حالة هذا العصر:

عصـــرنا هـــذا ملـــيء بـــالفتن طبعـــه خلـــق شـــرور ومحـــن

ولكم سررت عندما رأيت البعض من الإخوان الباكستانيين في الطائرة يقرأ القرآن والمضيفة تردد «السلام عليكم ورحمة الله»، وبعد كل كلمة تقول: «إن شاء الله» فتلك ظاهرة حميدة أعجبت بها كثيراً، كما أني لم أشاهد توزيع الخمور على الركاب، وعندما خرج مساعد الطيار وكان باكستانياً من غرفة القيادة وقف في صدر الطائرة وحييته على الفور وسر كثيراً عندما علم أني سعودي، ووجدت الرجل على جانب من الخلق والدين.

وفي مطار كراتشي كان الركاب يتزاحمون للحصول على حقائبهم بطريقة فوضوية، وبعد الانتهاء من الإجراءات خرجت للبحث عن سيارة أجرة إلى أحد الفنادق فتزاحم الناس حولي، وكان موقفاً طريفاً، والتفت أبحث عن حقيبتي فوجدتها في سيارة أجرة بينما كنت قد ركبت إحدى السيارات فطلبت من سائق السيارة الذي أخذ حقيبتي أن يعيدها للسيارة التي ركبتها، وأما حقيبتي اليدوية فقد كانت في سيارة ثالثة فأعدتها، وتوجهت صوب الفندق وانطلق كالسهم والسير المتبع عندهم على الشمال، ووصلنا إلى الفندق.

وقد أخبرني السائق بأنه لا يوجد مكان حيث سألهم في الصباح حينما كان معه بعض القادمين، وأن هناك فندقاً آخر، ولكني أصررت على الذهاب لهذا الفندق حيث كنت أحمل اسمه في مفكرتي، وقد تواعدت مع أحد الأصدقاء في مانيلا على الاجتماع فيه، وحينما وصلت الفندق وجدت منهم كل بشاشة وترحيب، وكانت الغرف كثيرة، وكانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً،

وكنت لم أنم طوال الليلة الماضية، وكعادتي فإن النوم لا يجد سبيلاً إلى عيني في الطائرة أو السيارة فصعدت للغرفة وأخذت في نوم عميق لم يكدر على صفاءه إلا رنين الهاتف حيث تلقيت مكالمة من أحد الأصدقاء في إسلام آباد.

وبعد ذلك نهضت وسألت مكتب الاستعلامات في الفندق عن وجود رحلات سياحية جماعية فلم أجد، فأخذت سيارة من سيارات الأجرة التابعة للفندق حيث ذهبت أستطلع معالم المدينة وأسواقها الرئيسية وميادينها وزيارة مكتباتها، ومساجدها وبعض دور العلم فيها إلى غير ذلك من الجولات السريعة الخفيفة.

وفي اليوم الثاني قمت برحلة لضواحي كراتشي ولشاطئها الجميل، وتمتاز ضواحيها بمناظر طبيعية جميلة فكلها ترتدي ثوباً أخضر وقد كان الجو معتدلاً وجميلاً كما أن شاطئها الجميل يداعب المدينة ويضفي عليها جمالاً وروعة.

في اليوم الثاني توجهت للجامع الكبير لأداء صلاة الجمعة، والتقيت بعد الصلاة بمجموعة طيبة من العلماء الأفاضل ممن هم على جانب من علم الشريعة الإسلامية وإن كان حظهم من اللغة العربية ضئيلاً، وقد كانت أرض المسجد كلها مفروشة بالمرمر، ثم قمت بزيارة لمتحفها المسمى على غرار تاج محل ويحتوي على الآثار القديمة ويدخله أعداد كبيرة من الرواد من مختلف الأجناس والعناصر، كما قمت بزيارة لحديقة الحيوانات وهي مليئة بالحيوانات المتنوعة.

وكذا القصور القديمة التي كان يسكنها ملوك الهند، ولقد مرت على تلك القصور والآثار أمم وحضارات ومدنيات مما يحكي عهود الغابرين من مئات

السنين. كما قمت برحلة إلى إسلام آباد للمشاركة في المؤتمر الدولي للوثائق والمخطوطات.

وبعد، فالباكستان أرض خصيبة كغيرها من بلدان العالم الإسلامي تملك مقومات الثروات الظاهرة والمطمورة في ترابه.

حقيقة إن الدول الإسلامية تمتلك ما يمكنها من تحقيق الاكتفاء الذاتي حيث إنها متكاملة من جميع النواحي، ولقد كانت فرصة طيبة خلال وجودي في كراتشي انعقاد مؤتمر الغرف التجارية الإسلامية، وكنت أتابع ما يكتب وينشر حول هذا الموضوع حيث اختيرت كراتشي مقراً للغرفة الإسلامية التجارية، وذلك لتنظيم الإنتاج والاستفادة من الطاقات الكاملة للعالم الإسلامي وإنتاج كل احتياجات العالم الإسلامي صناعياً وزراعياً متى نظمت تنظيماً متكاملاً، ثم قمت بعد ذلك برحلة إلى إسلام آباد للمشاركة في حضور المؤتمر الدولي للأرشيف، فكانت رحلة جمعت بين السياحة والعمل، ومفعمة بالفائدة والانطباعات والذكريات الجميلة والتأملات التاريخية حيث قمت بجولات في رحاب وأطراف هذا البلد المسلم، الذي عاش أحقاباً وأزماناً وتاريخاً ممتداً طويلاً.

***

في جزيرة سنغافورة

ودعنا مطار الظهران إلى «سنغافورة» وارتفعت بنا طائرة الخطوط الجوية السنغافورية في ١٠/ ١١/ ١٤٠٩هـ وكانت المقاعد كلها مشغولة والمضيفات والمضيفون كلهم من سنغافورة، ويتحلون بأدب جم ومعاملة جيدة، وكانت ضيافتهم عشاء فاخراً ذكرني بخطوطنا السعودية في رحلاتها الدولية، وكان جاري في المقعد أحد الإخوة الماليزيين ممن يعمل في بلادنا، فكان يحدثني طول الوقت عن الشرق الأقصى، ويمتعني بحديثه عن حضارة الشرق الأقصى وعالمه وأجناسه وعن انتشار الإسلام.

وبعد وجبة العشاء أغلقت نوافذ الطائرة ثم عرض «فيلم» طويل، وكنت بين اليقظة والنوم وصحوت على خطى المضيفة وفي يدها أغطية لمن يحب أن ينام، وحيث يتعذر علي النوم في الطائرة كعادتي طلبت إضاءة المصباح حيث إن معي مجموعة من الصحف والمجلات صحبتها معي لأتسلى بقراءتها في الطائرة.

وكان الليل طويلاً وفتحت نافذة الطائرة وإذا على الأفق ضوء كالفجر وبدأت الشمس تشرق في مواجهتنا وجاء المضيف يقدم الإفطار الشهي السخي. وكان الطيران أكثر من ثماني ساعات، وبدأنا نستعد حسب تعليمات الطائرة للنزول في المطار الدولي الكبير حيث إنه محطة للطيران العالمي بين الشرق والغرب، وكنت أشاهد من خلال النافذة المناظر الخلابة والمطر، فرددت قول الشاعر:

أنـــى نظـــرت رأيـــت مـــاء ســـانحاً متـــــدفقاً أو يانعـــــاً متهـــــدلا

وقول الآخر:

نـــزه الطـــرف في بـــلاد ففيهـــا كـــل مـــا تشـــتهي ومـــا تختـــار

فسنغافورة روضة متموجة غناء تمتع البصر بخضرة أشجارها وترى الخضرة والنضرة في أرجائها، وفي الصباح كان الوصول إلى سنغافورة، وكان النزول في فندق «بلازا»، وكانت الزيارة الثانية لهذه المدينة الجميلة؛ لأنها كما قال الشاعر:

بـــلاد بهـــا مـــا يمـــلأ العـــين بهجـــة ويســـلي عـــن الأوطـــان كـــل غريـــب

إنها جزيرة نظيفة، عدد سكانها أكثر من مليونين، وأغلب سكانها من الصينيين، والباقون من الهنود والملايو، وبها جالية عربية وشارع باسمهم ومحلات تجارية. وانطلقت ورفيقي في هذه الرحلة نتجول في شوارعها وميادينها وأسواقها التجارية ونمد أبصارنا إلى ما يحيط بها من مناظر خلابة، وغدونا نسير في أسواقها ومشاهدة مرافق التجارة والميادين، ونرى الناس في حركة نشطة وهم في ذروة الغنى والمرح والانسجام، فهم يعيشون في هذه الجزيرة أطيب العيش وأحلاه نتيجة النشاط والعمل والكفاح، فهم مثل الدول المتطورة كاليابان والصين في مظاهر البناء والعمران والبنوك والسياحة ومشروعات النمو والتطور.

إنها جزيرة جميلة حقاً حباها الله بقسط وافر من جمال الطبيعة، فهي تبدو كالحديقة الغناء مخضرة الأرض لكثرة المطر الذي يتساقط رذاذاً إذ تشرق الشمس صباحاً، وفي الظهر ديمة متواصلة ومزن ينتشر في السماء، وكم أصاب

ملابسنا المطر! فندخل أحد المقاهي لتجفيفها، وسرعان ما تجري المياه في جوانب الشارع وتزول وذهبنا لبعض الروابي والجبال، وهي أشبه ما تكون بمظلة خضراء، وشاهدنا سنغافورة في روائع زينتها في مربعات مختلفة الأحجام والأشكال، وفجأة وثبت إلى خاطري قصائد الجمال ملهمة الشعراء حيث الندى والشمس فوق لجين الماء عقيان وكما قال شوقي:

فتحت جنانك الأنهار تجري ومـــلء ربـــاك أوراق وورق

ورددت قول الشاعر:

افرح بدنياك واشبع من مشاهدها مـــاء وروض وأشـــجار وأنهـــار

وفي سنغافورة شوارع كثيرة جداً مليئة بالمراكز التجارية ومجمعات للتسوق مكيفة ومؤلفة من عدة طوابق حيث محلات الملبوسات بالعشرات، بالإضافة إلى المخازن والمطاعم والمقاهي، ويشاهد المرء السياح يستمتعون بشراء كميات من الهدايا ذات الشهرة العالمية وآخر ما توصلت إليه التقنية العصرية.

ويلاحظ الإنسان في متاحفها أنها ذات حضارات متعددة ولذا يحرص السكان على إحياء تقاليدها القديمة، ولقد شاهدت الكرنفال السنغافوري حيث خرج الجميع إلى الميادين والطرقات للمشاركة في الألعاب والمواكب وعروض الأزياء والحفلات المتنوعة في مختلف الأماكن والميادين، ويجلس الناس في الحدائق تحت ضوء النجوم.

وفي شارع العرب دلفت إلى أحد المحلات التي يملكها تاجر عربي أفاد أن أجداده وفدوا من حضرموت، ودار الحديث بيني وبينه عن تاريخ العرب في إندونيسيا وسنغافورة وماليزيا، وقال: نحن حريصون على إحياء التقاليد

والعادات العربية في نفوس أبنائنا، ونعلمهم دروساً شتى في مكارم الأخلاق وآداب الإسلام ودراسة اللغة العربية وغير ذلك مما كان يتميز به أجدادنا الذين جاؤوا إلى هذه الديار ونشروا الإسلام في جنوب شرق آسيا، وقد اتخذوا سنغافورة قاعدة تجارية حتى قبل أن يكتشفها الإنجليز ويدركوا أهميتها الإستراتيجية في العشرينات من القرن التاسع عشر.

وقال زميل له كان حاضراً لقد اندمج العرب بسرعة في المجموعات السكانية، وحازوا احتراماً وتقديراً كمعلمين مسلمين، وتزوجوا من أهل البلاد وعلى مر السنين أثرت الثقافتان في بعضها البعض ومن المؤسف اليوم أن نرى بعض شبابنا قد فقد الكثير من لغته وعادات أهله وأجداده وتراثهم، ولا يستطيعون التحدث باللغة العربية.

لقد كان العرب قوة في هذه الجزيرة، وكان فيهم تجار ورجال أعمال أقوياء، وهذا الشارع وغيره من الشوارع الأخرى كانت تحفل بها متاجرهم وتحمل أسماءهم مثل السقاف والجنيد وغيرهم، ثم سألته: هل تعرفون اسم أول عربي وصل إلى هذه الجزيرة؟

فقالوا: إنهما محمد الجنيد وعمر الجنيد في عام ١٨١٥م. وذلك قبل وصول الإنجليز بخمس سنوات، وقد شيد أول مسجد في سنغافورة في عام ١٨٢٠م، وأصبح اليوم من المعالم التاريخية المهمة في الجزيرة.

إن هذه الجزيرة الجميلة تحوي في جنباتها اليوم أصنافاً شتى، ويمثل الصينيون ٧٧٪ من السكان، و١٤٪ مالويين و٧٪ يهود ولهم نشاط تجاري واسع، والباقي من أجناس آسيوية وأوروبية وغيرها.

***

في ماليزيا .. الرحلة الأولى

وبعد تمضية أيام جميلة في ربوع سنغافورة وفي يوم مشرق أصيل غادرنا مطارها إلى ماليزيا. وبالطبع فإن مطار سنغافورة منطلق رحلات إلى جهات شتى، فيشاهد المرء فيه أجناساً شتى من البشر.

وسنغافورة بلد سياحي جميل خصه الله بفتنة الطبيعة وروعة جمالها وطرنا منها إلى كوالالمبور قاعدة ماليزيا، ومن نافذة الطائرة شاهدت المناظر الجميلة والسهول الخضراء، وأتأمل عظمة الخالق وأتذكر الرحلات في الزمن القديم يوم كانت تعتبر مجازفة بالحياة ومغامرة بالنفس والمال، وكان المسافر يضع نصب عينيه حين عزمه على السفر عدم العودة إلى أهله، فكان يكتب وصيته ويقضي ديونه إلى جانب ما يتكبده من عناء وعنت وإرهاق ولفح الهجير وبرد الزمهرير وبعد خمس وأربعين دقيقة من الطيران كانت الطائرة تهبط بنا في مطار كوالالمبور وكان مطاراً جميلاً بأروقته وردهاته وجمال تنسيق حدائقه.

ومنذ بدت لنا هذه العاصمة وأنا أستعرض في ذهني تاريخها ودخول الإسلام إليها حيث اتسع بين أرجائها في القرن الثامن الهجري، وفي برهة من الزمن أنهينا الإجراءات اللازمة بلطف وبشاشة، وكان في استقبالنا أحد موظفي المكاتب السياحية الذي أخذنا إلى أحد فنادق العاصمة وهو فندق «رويال»، وكانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة ظهراً، وبعد استراحة في الفندق خرجت للتجوال في هذه العاصمة الجميلة عاصمة ماليزيا التي ترتدي حلة سندسية خضراء، وكان الجو معتدلاً، إنها مدينة ملأى بالبشر من مختلف الأجناس والألوان، وكل يسير في طريقه بنظام واحترام.

والماليزي بطبعه رجل هادئ ولا يحب الكلام كثيراً، وبعد الاستمتاع بسويعات سعيدة جلسنا في أحد المقاهي لتناول الشاي الماليزي، وجاء الشاي أخضراً، ثم عدنا إلى الفندق للراحة وتناول طعام الغداء.

وفي المساء اتفقنا مع الفندق على تنظيم جولات في ربوع «ماليزيا» وفي ضواحيها وأطرافها البعيدة والقريبة، ففيها من جمال الطبيعة وروعة المناظر ما يغري بالمشاهد وتأمل السائح، فهي أشبه بحديقة غناء وتزدان بالجمال ويشيع فيها الخصب في كل ناحية من نواحيها حيث الأشجار والأزهار، ولعل أكثر ما يستلفت النظر أشجار النارجيل بقامتها الفارعة في كل مكان.

وكان برنامج الزيارات حافلاً في العاصمة وخارجها، وعلينا أن نستيقظ مبكرين لتنفيذ برامج الرحلة وتحقيق الهدف منها وإشباع الرغبة الملحة لاستكناه ما في هذه البلاد من تاريخ وحضارة وآثار ومعالم، وعلى السائح أن يوطن نفسه على الحل والترحل منشداً قول الشاعر:

ما آب من سفر إلا وأرقه ... شوق إلى سفر بالبين يجمعه
كأنه وهو في حل ومرتحل ... موكل بفضاء الله يذرعه

وفي الصباح كانت الجولة مع إحدى الشركات السياحية التي تنظم الرحلات داخل المدينة وخارجها، وبدأت الرحلة في التاسعة صباحاً على حافلة صغيرة دليلها رجل هندي، ولكنه ليس من الأدلاء الماهرين ولا من الذين يحسنون الإجابة على أسئلة السياح ومعرفة ما يحبون أن يشاهدوه.

سارت الحافلة وأخذ الدليل يلتقط السائحين من عدة فنادق، وكان مما بدأ به حدائق المدينة وأسواقها، وجولة في قلب المدينة، وكان شرحه بالإنجليزية،

ثم انطلقت الحافلة في شوارع المدينة وكانت السماء تمطر مطراً ثم رذاذاً يسيراً فالمطر ينهمر كل يوم، وتوجهنا صوب ميناء «فينانج» وبعد جولة في أنحائه استأنف الدليل زيارة بعض المتاحف والآثار، وحاولت أن يظل وقتاً طويلاً في هذه الأماكن لمشاهدة تاريخ هذه البلاد وحضارتها، ولكن الدليل أشار إلى أعمال الترميم الجارية في المتحف فحاولت استجلاء معالم المتحف من الداخل غير أن الدليل استحثنا على السير لضيق الوقت، وأرانا عدة خرائط وصوراً فوتوغرافية لسكان هذه البلاد وغير ذلك.

ثم توجهنا نحو مسجد «نيقارا» الكبير حيث يقع في حي رفيع ومكان جميل تحيط به عمارات فخمة وبعض الدوائر الحكومية كما يحيط بالمسجد فناء واسع.

وترجلنا من الحافلة وأسرع بواب المسجد للتنبيه بخلع الأحذية، وأرض الجامع من الرخام والمرمر الأبيض، ووقفت عند المكتبة فوجدت فيها مجموعة من الشبان الماليزيين ممن يحسنون اللغة العربية فكانت فرصة للحديث والنقاش والأسئلة عن أحوال المسلمين في هذه الديار، وهل هناك مدارس لتعليم اللغة العربية؟ وهل توجد آثار تدل على آثار المسلمين ونشرهم للإسلام في هذه الديار؟ ومن هو أول سلطان مسلم؟ وعن المركز الإسلامي إلى غير ذلك .. فأفاد أحدهم بأنه قد درس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتحدث عن بداية دخول الإسلام في القرن الثامن الهجري وأن أول أثر اكتشف عبارة عن حجر وجد في إحدى الولايات في ماليزيا الغربية، وأن إحدى الولايات وهي «ملاكا» لها دور كبير في نشر الإسلام في ماليزيا، وأول

سلطان مسلم هو «محمود شاه»، ويوجد في كل ولاية دائرة تهتم بالشؤون الإسلامية وتعلم اللغة العربية، فشكرتهم على روحهم الإسلامية وبشاشتهم وأخلاقهم وكانوا على جانب من اللطف والكرم فأصروا على استضافتنا في منازلهم فاعتذرت لهم بضيق الوقت منشداً قول المتنبي:

وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

ثم ودعتهم حيث انطلقت بنا الحافلة بعد زيارة لهذا المسجد العظيم في شكله وبنائه ومآذنه وتصميمه فهو تحفة رائعة في منظره وسعته وطابعه العام ورحباته ونظافته وجماله وأناقته، وقد سألت عن مصممه فقالوا: إنه شاب من أبناء هذه البلاد المسلمين ويسع لأكثر من عشرة آلاف مصل. وكم يبتهج المسلم عندما يرى هذه المعالم الإسلامية في هذه البلدان.

وسارت بنا الحافلة منطلقة في شوارع العاصمة قاصدة سفح أحد الجبال الخضر التي تحتضن المدينة، فكان المكان مليئاً بالسياح، ويوجد عدد من الباعة يعرضون عدداً كبيراً من مصنوعات الخوص اليدوية والتحف الملونة بأشكال جمالية شتى حيث يستعملون منه حقائب أنيقة وقبعات وأغلفة متنوعة ومراوح وغير ذلك، كما يوجد باعة الفاكهة المتنوعة، وهي ذات أنواع وألوان وأصناف، ولكل نوع مذاق وحجم.

ولا غرو فهذه الأرض هي بمثابة بستان أخضر مليء بالأشجار والفواكه ومزارع الأرز والقمح، وقد شاهدنا ذلك خلال جولاتنا في أنحاء ماليزيا كما تشكل الغابات الممتدة أحد مصادر الدخل في هذه البلاد حيث يصدر الخشب إلى بلدان كثيرة لجودته، وهي تمتلك من مصادر الثروة الطبيعية الكثير بجانب

البترول وزراعة نخيل الزيتون وغابات المطاط والرخام والجرانيت بما يحقق لها دخلاً قومياً هائلاً إذ حباها الله طبيعة سخية من أنهار وأمطار وخيرات.

ومع إطلالة يوم مشرق جميل وصبح ذهبي دافئ بديع رن جرس الهاتف في غرفتي بالفندق ليؤكد لي مرشد الرحلة أن الساعة تشير إلى الثامنة صباحاً ولم يبق على موعد التحرك والذهاب إلى جبل «بربيه» سوى بضع دقائق، وكنت قد استقبلت مكالمة من أحد الإخوة العرب من أبناء حضرموت ممن يقيم في هذه البلاد حيث عرض علي خدماته وما لديه من عطور وعود أصيل فاعتذرت له بأن النوم ملء جفني، وعليه أن يتصل في وقت آخر.

وفي لحظات كنت آخذ مكاني في الحافلة فانطلقت بنا في شوارع العاصمة وميادينها إلى جبل «بريزر» في طريق صاعد متعرج بين خمائل أشجار المطاط على الجانبين ومعلق على كل شجرة إناء فخاري صغير لتلقي السائل الأبيض من هذه الأشجار.

فالمطاط في هذه البلاد أحد مصادر الثروة وأهمها، ولذا يشاهد المرء مزارع المطاط منتشرة في شتى الحقول ومختلف البقاع، ووصلنا إلى قمة الجبل الرائعة التي ازدانت بمناظر الزهور، وتجولنا في أنحائه وقصدنا بعض الحوانيت ومشاهدة ما تحويه من تحف وهدايا يحرص السياح على شرائها ثم توجهنا لأحد الفنادق لتناول طعام الغداء وكان الجبل وما تحته ذا خضرة شاملة وبعد الغداء استأنفنا الجولة على الأقدام وتمنينا أن نقضي وقتاً طويلاً إلا أن برنامج الرحلة كان يلزمنا بالعودة، فتركنا هذا المكان الجميل وامتطينا السيارة حيث كانت تمر بنا على عدة قرى وساحات وميادين مشجرة ومشاهدة أفواج من

الشعب وهم يغدون ويروحون ترتسم عليهم ملامح الهدوء، ورغم كثرة السيارات التي تمر مع هذه الساحات والميادين فإن الأبواق المزعجة تكاد تكون معدومة، كما أن الشوارع جميلة ونظيفة حتى البيوت الشعبية الخشبية حسنة الشكل والمنظر، وفي المساء كانت لنا جولة على الشاطئ، وكان الجو ينذر بمطر.

فبدأ الرذاذ وقطرات من المطر وكانت المنتزهات والاستراحات المتناثرة على الشاطئ تستقطب السياح، وكان البحر بجماله يدعونا لأحضانه والقرب منه، وتناولنا العشاء على مقربة منه في مطعم حوى ألواناً شتى من خلق الله من الشرق والغرب قدم لنا أطيافاً شتى من الطعام الماليزي وألواناً من الأسماك والفواكه الماليزية الجميلة، وغادرنا المكان مردداً قول الشاعر:

نـــزه الطـــرف في ربـــوع ففيهـــا كـــل مـــا تشـــتهي ومـــا تختـــار

وهكذا أمضينا أياماً جميلة في ربوع ماليزيا والتي يتميز الكثير من مناطقها بجمالها الذي يبهر الأبصار ومعالمها الأثرية الجميلة في الفن المعماري وأسواقها المليئة بالتحف والحلي والمقتنيات النادرة ومساجدها الأثرية الخالدة ومدنها الساحلية الخلابة ومعالمها الجميلة وخاصة مدينة «كوانتان» الساحلية، وتتميز بمعالمها الجميلة باعتبارها من أهم المدن الساحلية بماليزيا.

***

في ماليزيا .. الرحلة الثانية

في مساء يوم الخميس الموافق ١/ ٧/ ١٤٣٢هـ غادرت مطار الرياض متوجهاً إلى «ماليزيا» في رحلة ثانية، وكان الدافع إلى الزيارة قوياً فطالما تردد اسمها مقترناً بتطور وأحداث وتاريخ ونهضة اقتصادية وصناعية فهي واحدة من النمور الآسيوية، وتمتاز بجمال الطبيعة وحسن أخلاق وطباع أهلها.

ومن الرياض الحبيبة إلى كوالالمبور ثماني ساعات قضيناها على متن إحدى الطائرات السعودية وهي تتأرجح بنا بين السماء والأرض، ولم يتح لنا الظلام مشاهدة الأرض والبحار، وكانت المطبات الهوائية تأخذنا بين الحين والآخر، ثم لاحت لنا أضواء منبعثة من سواحل بعض البلدان التي مررنا بها في باكستان والهند وتايلند وكوريا.

وفي مطار كوالالمبور حطت بنا الطائرة في الساعة الواحدة ظهراً، وكان المطار واسعاً وكبيراً وهو مبنى ضخم رائع التصميم ممتد القاعات والصالات يربط بعضها بالآخر عربات قطار جميلة، ومتى ركبه المرء شعر أنه بداخل مدينة تضج بالحركة والحياة، وقد كان في استقبالنا أحد موظفي السفارة السعودية، وبعد سير في المطار من قاعة الجوازات إلى صالة استلام الأمتعة خرجنا من المطار.

وقد لاحظت على وجوه العاملين في المطار الابتسامة والتحية تتكرر: السلام عليكم! وهكذا تفضي تلك الابتسامة والسلام بالمحبة والمودة، ثم انتقلنا من المطار إلى قلب المدينة ومنذ أن بدت لنا العاصمة وأنا أستعرض في ذهني

تاريخ هذه البلاد ودخول الإسلام إليها حيث انتشر بين أرجائها.

وكان الطريق من المطار إلى الفندق ساعة، ولقد شاهدنا المناظر الطبيعية الخلابة والمباني الشاهقة الرائعة، وعلى حافتي الطريق الصور والأشكال النباتية فوصلنا الفندق دون ملل من الطريق، وكان السكن في فندق «مندرين» حيث تحيط به المجمعات السكنية الشاهقة والمباني الكبيرة والحدائق الجميلة.

وفي غرفتي في الفندق وجدت بعض الكتب الإعلامية عن هذا البلد العريق بماضيه وحاضره فأخذت معلومات متنوعة جغرافية وتاريخية عن مساحة ماليزيا، وعن سكانها وأنها جزيرة أخذت اسمها نسبة إلى سكانها الأصليين الملاويين، وأنهم خليط من الملاويين والصينيين والهنود، وأن الديانة الرسمية الإسلام وحريات الديانات الأخرى مكفولة للجميع، والمناخ الماليزي استوائي حار رطب طوال العام، وقد نالت استقلالها عام ١٩٥٧م، وبعد ذلك تشكل الاتحاد الفيدرالي مع جزيرتي سرواك وصباح.

والاتحاد يتكون من ١٣ ولاية، لكل ولاية حاكمها، كما تشير تلك المعلومات التي أمضيت وقتاً ممتعاً في قراءتها أن الاقتصاد يعتمد على السياحة والصناعة والبترول وزيت النخيل والمطاط، كما أنها تحتوي على جزر كثيرة وموارد مائية وسواحل بحرية وحقول زراعية. لقد لاحظت الاهتمام بالسياحة حيث الفنادق والمنتجعات في المدن والجزر والجبال ووسائل الترفيه المتعددة، فالسائح لن يضيق بوقته لكثرة الخيارات السياحية أمامه:

فـالأرض قـد كسـيت رداءً أخضـرا والطـل ينثـر في رباهـا جـوهرا

ومن خلال تلك الكتب تعرفت على أشياء كثيرة، وقمت بجولات في ربوع

العاصمة وزيارة معالمها كالمتحف الوطني والمتحف الإسلامي بمقتنياته الرائعة وبرج كوالالمبور والمدينة القديمة حيث قصر السلطان عبدالحميد، والدور الأثرية وحدائق البحيرة والمتاحف المتعلقة بتاريخها، وكذا المراكز التجارية المتعددة والسوق المركزي، والجامع الكبير الذي يقع في حي رفيع ومكان جميل، كما يحيط به فناء واسع كبير، فهو تحفة رائعة في منظره وسعته ونظافته وجماله.

ولقد التقيت بالعديد من الشخصيات الماليزية في الفندق والأسواق والجزر، فوجدتهم من الشعوب الطيبة ذات الثقافة والتقاليد العريقة التي ما زالت متجذرة في النفوس ومتوارثة عبر الأجيال، وهم يتحدثون بصوت منخفض ونبرة هادئة، كما أن علو الصوت غير مرغوب فيه، ويعد خارجاً عن حدود اللياقة كما لاحظت البشاشة مع وضع الراحتين على الصدر بعد المصافحة عند اللقاء والانصراف.

ولقد حققت ماليزيا إنجازات وصلت بها إلى مراتب عالية من التطور التعليمي العام والعالي والتطور العصري والحضاري جنباً إلى جنب مع التطور الإنساني والاجتماعي نتيجة الاستثمار الصحيح في الإنسان والمال، حيث تم توظيفهما بشكل فاعل مما ساهم في إنجاح التجربة التعليمية والتنموية والاقتصادية، فهي اليوم من أهم الدول الإسلامية المتقدمة في صناعة التعليم حيث جمعت تكنولوجيا العصر في التخصصات العلمية المتقدمة إلى جانب محافظتها على القيم الإسلامية.

وفي لقاء مع سعادة الملحق الثقافي السعودي في ماليزيا الدكتور عبدالرحمن

الفصيل أفاد بأن عدد الطلبة السعوديين في ماليزيا أكثر من ألف طالب سعودي يدرسون في مختلف الجامعات التي تملك قاعدة بيانات وأكبر مكتبات، وهذا مما جعل ماليزيا تحوز مركزاً متقدماً في الترتيب العالمي للجامعات كما اكتسبت مستوى عالياً من المصداقية في الدرجات العلمية الممنوحة من مؤسساتها العلمية.

ويوجد ناد للطلبة السعوديين في كوالالمبور أنشئ عام ١٤٢٦هـ مع قدوم أول مبتعثين من المملكة يضم جوانب متنوعة من هموم المبتعثين وحاجياتهم وطريق لتواصلهم في كل ما يخص المجال التعليمي، وهناك أكثر من ناد سعودي في المدن الأخرى في كل من شائج وملاكا والتي يوجد بها طلاب سعوديون.

ومن أجمل خدمات هذه الأندية خيمة الشعر والأدب، ومنتدى السياحة والخدمات، ومنتدى الدراسة والتعليم، وعرض التراث السعودي الأصيل. ولهذه الأندية السعودية مواقع إلكترونية يستفيد من خدماتها الطلاب الجدد لبداية مشوارهم الدراسي، ومن ضمن الجامعات لاحظت أن هناك جامعة كبيرة للكهرباء، وأخرى للتكنولوجيا، ولا شك أن هذه الجامعات ظاهرة علمية متميزة.

ولقد تم افتتاح الملحقية السعودية عام ١٤٢٩هـ لتنمية العلاقات الثقافية بين المملكة وماليزيا. وتكرم الأستاذ بدر بن عبدالمحسن المقحم نائب السفير السعودي في ماليزيا بدعوتي للعشاء حيث أتاح لي الفرصة واللقاء بسعادة السفير السعودي الأستاذ محمد أبو الحمايل، والملحق الثقافي الدكتور

عبدالرحمن الفصيل، والأستاذ سليمان العذل الملحق التجاري، وملحق الشؤون الإسلامية الشيخ إبراهيم الناصر ومدير المدرسة السعودية الأستاذ أحمد الشهري، والأستاذ أحمد النتيفي فكانت بحق ليلة سعودية تجلى فيها كرم مضيفنا.

وأسعدني بهذا اللقاء الذي استفدت منه الكثير عن ماليزيا وتاريخها وحضارتها ونظامها التعليمي، وكان لكرم الداعي ولطفه الأثر الكبير حيث مضى وقت طويل من الليل ونحن نتجاذب الأحاديث مع أولئك الإخوة من موظفي السفارة السعودية في جو أبعد ما يكون عن بواعث التكلف، وسررت حقاً بما شاهدته بينهم من التآلف والتآخي، وأشرت إلى ما لهذه اللقاءات الأخوية من أثر حميد وفائدة، ولم يكتف الإخوة – أكرمهم الله – إلا الإلحاح علي بتكرار اللقاء غداً فاعتذرت لسفري إلى جزيرة «Langkawi» التي تمثل إحدى أرخبيل ماليزيا الواسع.

ولقد كان الطيران إليها صباحاً على الخطوط الماليزية، واستغرقت الرحلة ٥٥ دقيقة، ولقد شاهدنا خضرة الأرض وزرقة البحر والجزر المتناثرة، وبعد الوصول توجهنا صوب فندق «شيراتون»، وكنا نشاهد جمال هذه الجزيرة والمنتجع السياحي ومساحة هذه الجزيرة بعض كيلومترات، وبها مائة فندق ومنتجع وأماكن ترفيه وتسلية.

وقد استقبلنا شاب جزائري يعمل مترجماً في الفندق ويحضر للدكتوراه في الجامعة، وتوجهنا للسكن الذي أقيم من الأخشاب والمحيطات والسقوف والأعمدة والسلالم وكلها من الخشب، وقد أقيمت الغرف على شكل خيمة

مستطيلة ذات طابع تراثي عريق، وبعد تمضية عدة أيام في رحاب هذا الفندق انتقلنا إلى منتجع آخر يدعى «تنجيق» وهو منتجع هادئ يرتاده سواح من مختلف البلدان من أمريكا وأستراليا وأوروبا ممن تستهويهم الراحة والهدوء بعيداً عن الصخب، كما تقام فيه حفلات الزواج من مختلف أنحاء العالم ومن يقضون شهر العسل.

ومن أجمل ما في هذه الجزيرة طيورها التي توقظ النائم بزغردتها عندما يبزغ الصباح، وكثرة أشجارها المثمرة والتي تتدلى منها عناقيد البابايا وجوز الهند والأناناس، ويوجد عدة جزر متفاوتة المساحة وقد ذهبنا إليها عبر قوارب، كما يوجد فيها محطة تلفريك الذي يأخذ السائح على ارتفاع شاهق نحو قمة جبل شافج حيث السحاب والضباب والمطر ومفاتن الطبيعة والهضاب والمنحدرات والأودية.

وفي هذه الجزيرة كانت الزيارة لعدد من المعالم مثل عالم ما تحت البحار، حيث الكائنات الحية تتحرك في الماء كما لو كانت في أعماق البحار، ومن جزيرة لنكاوي توجهنا صوب جزيرة بيانج وخلال ساعة من الطيران حطت بنا الطائرة في مطارها ويطلق عليها جوهرة الشرق ولقد شاهدنا الحقول الخضراء والسهول الممترة والشواطئ المحاذية للمحيط الهندي – وتعد الولاية الرابعة في الأرخبيل الماليزي، وأمضينا في رحابها ثلاثة أيام حيث الضباب والسحاب والمطر وبشاشة الناس، ويميل طقسها إلى الحرارة والرطوبة، ويؤمها السياح طوال العام للتمتع بجوها الدافئ، وتعج أسواقها وفنادقها بالرواد من مختلف أنحاء العالم، وبها حدائق للعصافير ومزارع الفواكه المختلفة وحديقة

التوابل، وبها جسر كبير يربطها بالعديد من الجزر وسنغافورة وتايلند والعاصمة من جزيرة إلى جزيرة حيث تتنوع المناظر والمشاهد مردداً قول الشاعر:

ما آب من سفر إلا وأرقه ... شوق إلى سفر بالبين يجمعه
كأنه وهو في حل ومرتحل ... موكل بفضاء الله يذرعه

وكنت أردد في هذه الجزر والمدن قائلاً:

نزه الطرف في ربوع ففيها ... كل ما تشتهي وما تختار

وهكذا أمضينا أياماً جميلة في ربوع ماليزيا، والتي يتميز الكثير من مناطقها بجمالها الذي يبهر الأبصار، ومعالمها الأثرية الجميلة في الفن المعماري، وأسواقها المليئة بالتحف والحلي والمقتنيات النادرة، ومساجدها الأثرية الخالدة، ومدنها الساحلية الخلابة، ومعالمها الجميلة وخاصة مدينة كوانتان الساحلية، وتتميز بمعالمها الجميلة باعتبارها من أهم المدن الساحلية بماليزيا.

إن ماليزيا دولة إسلامية حضارية تقع في أقصى شرق جنوب آسيا حباها الله بالخير، وتمتلئ فنادقها وجزرها وأماكنها ومعالمها السياحية بالوافدين للزيارة والسياحة، وهي كغيرها من الدول المجاورة كإندونيسيا وسنغافورة وبروناي تتكلم اللغة الملاوية بجانب اللغة الإنجليزية، وتمتاز ماليزيا بتقدمها الصناعي والزراعي، ولعل ما يبهج الزائر المسلم رؤية المساجد وسماع الآذان من خلال أجهزة الإعلام للصلوات الخمس يومياً، ويهتم مسلموها بالحفاظ على شعائر الإسلام مع الأخذ بجوانب الحضارة والتمسك بالعقيدة الإسلامية.

وقد سمعت الكثير منهم يتمنى زيارة الأماكن المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وقراءة القرآن الكريم وحفظه، وعندما يعرفون أننا من السعودية تشاهد في وجوههم الفرحة والبهجة والتقدير، ويعبرون عن شعور الاعتزاز والإخاء والمحبة، وبعد قضاء أيام ممتعة في ربوع هذه البلاد ودعناها مردداً قول الشاعر:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا فدنيانا نزول وارتحال

***

في إندونيسيا

وبعد زيارة لماليزيا غادرت كوالالمبور يوم ٧/ ٧/ ١٤٣٢هـ على متن طائرة الخطوط الماليزية، وبعد رحلة دامت عدة ساعات وصلنا إلى مطار جاكرتا، وهو زاخر بحركة آلاف المسافرين الذين ينتظرون داخل قاعاته، وآلاف القادمين الذين يتزاحمون عبر أبوابه وممراته.

من المطار عبرنا إلى العاصمة جاكرتا ومعناها زينة النجاح كما يقولون، ويلاحظ السائح كثرة تداول الأسماء العربية بالنسبة لمسميات الأفراد وجاكرتا ذات نشاط اقتصادي وتجاري حيث تمتلئ بالناس والفنادق والمتاجر والبنوك، ومن أهم شوارعها «سودر من»، وشارع «تامرين» حيث حركة الناس ورجال الأعمال والسواح والبنوك. والدين الإسلامي هو الدين السائد في البلاد واللغة الرسمية هي اللغة الإندونيسية.

وخلال جولة في ميادينها شاهدت عدة أنهر أهمها «تشيبلورنج»، و«بنجاويخ» وغيرهما وتتميز جاكرتا بأنها أكثر المدن الاستوائية التي تضم خليطاً من الأجناس والعادات والأديان واللغات، وتتميز معظم إندونيسيا بالغابات على أن جزءاً كبيراً منها يتكون من الجبال والبراكين كما أن مناخها استوائي مشبع بدرجة عالية من الرطوبة ولقد وصلها العرب في عام ١٨٤٦/ فقامت الممالك الإسلامية في جاوا ونشروا الدين الإسلامي في جميع أرجاء الجزر الإندونيسية.

وتضم العديد من الجامعات والمساجد والمتاحف والمقاهي والفنادق

والمطاعم، حركة دائبة ونشاط متواصل ليلاً ونهاراً، وخلال رحلة بحرية قمنا بجولة على شاطئها وخلجانها المتنوعة، ثم مراكز الفنون والثقافة حيث تقام المعارض للأنشطة الفنية والفكرية، وكذا مبنى محطة القطارات والمجمعات التجارية والقرية الإندونيسية حيث هي من العلامات المميزة لإندونيسيا بحدائقها الغناء ومجسماتها الجمالية والمشاهد المتنوعة للشواطئ والجبال – والغابات والفنون التقليدية.

والمتحف الإندونيسي يعطيك صورة عن هذه البلاد وتاريخها وحضارتها، ثم زيارة حديقة الطيور وهي من طيور الأرخبيل الإندونيسي، فهذه القرية تحكي تاريخاً حاضراً وماضياً لهذه البلاد ومن القرية الإندونيسية إلى منتجع «بوتشاك جايا» حيث الخضرة والجبل والمناظر الخلابة وهذا يبعد عن العاصمة ثمانية كيلومترات إن المرء ليشعر بالفخر وهو يرى هذا البلد المسلم الذي يعمل على السباق مع الدول الأخرى في حركة نمو دائبة اقتصادياً وتجارياً وسياحياً، ويشاهد المرء خلال هذه الرحلة الريف الإندونيسي، والقرى الزراعية الممتدة والمآذن والمساجد ترتفع بشموخ واعتزاز وحقول الفواكه المتنوعة ومزارع الشاي والبن والأرز وحديقة الطيور بأصواتها الجميلة وشدوها البديع، وهناك أشجار المطاط والبن والمانجو وغيرها.

ويقول المرشد السياحي: إن معظمها مستورد من أفريقيا والصين وأستراليا.

ويقطن جزيرة جاوا خمسون في المائة من عدد سكان إندونيسيا والبالغ عددهم أكثر من مائتي مليون نسمة إنها بلاد واسعة وثقافات متعددة.

وذهبنا للصلاة في جامعها الكبير جامع الاستقلال، وتعد جزيرة جاوا أغنى

جزيرة في الأرخبيل الإندونيسي، ويبلغ عدد الجزر خمسة عشر ألف جزيرة، بعضها صغير غير مأهول، ولعل أهم جزرها جاوا وسومطرة وكلمنتان، وهكذا انتقلنا من مكان إلى مكان، ولاحقنا قصر وقت الرحلة، وودعنا هذه البلاد الكبيرة والتي تعج بالحركة والنشاط والحياة على أمل العودة إليها في رحلة أطول وشوق إلى الشرق الآسيوي بجماله وسحره وحسن طباع أهله، ونموه الاقتصادي ونهضته الصناعية وجمال طبيعته وخصائصه الجغرافية والتاريخية، مردداً قول الشاعر:

في الـذكريات وفي الترحـال أشـجان فيهـا مـن العلـم والعرفـان ألـوان

وهكذا سعدنا بقضاء أيام ممتعة مفيدة حافلة بالمتعة الفكرية والفوائد التاريخية، وغادرناها والنفس مفعمة بجميل الذكريات وشتى الانطباعات قائلاً:

بنفسـي تلـك الأرض مـا أجمـل الربـا ومـا أحسـن المصـطاف والمتربعـا

***

في اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة

استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً، وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، وما زالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب.

ولقد زرت الكثير من البلدان في الشرق والغرب، وكان هدف الرحلة إلى اليابان هو المشاركة في أعمال ندوة عن العلاقات الثقافية السعودية نظمتها ودعت إليها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولقد كانت نفسي تحدثني بزيارة هذه البلاد منذ أمد، ولم تتحقق هذه الأمنية ولم يصدق العزم إلا في هذا الوقت ابتداءً من يوم الخميس ٩/ ٢/ ١٤٢٢هـ، حيث كان السفر من مطار الرياض في الساعة العاشرة مساءً على متن إحدى طائرات الخطوط السعودية استجابة لدعوة وجهتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للمشاركة في أعمال ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية «الواقع وآفاق المستقبل» في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وذلك بمناسبة افتتاح مبانيه الجديدة واستئناف نشاطه العلمي حيث يأتي هذا الحفل إيذاناً بمرحلة جديدة في نشاط المعهد، وللقيام بالواجبات المنوطة به ليحقق الأهداف النبيلة التي أنشئ من أجلها.

وقد دُعي لهذه الندوة عدد من الباحثين والمثقفين السعوديين، وبعد ترتيب ما نحتاج إليه من سمة دخول وتذاكر سفر إلى تلك البلاد – ولقد كنت قد زرت عدداً من دول الشرق الأقصى مثل ماليزيا وسنغافورة وإندونيسيا

وكوريا وغيرها، أما اليابان فقد كانت الزيارة الأولى.

وفي مطار الرياض كان اللقاء برفاق الرحلة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود ووزارة الإعلام، ولقد سعدت بصحبة هذه النخبة من الأصدقاء مع أنني سبق معرفة بعضهم، وبعضهم كان التقائي بهم لأول مرة، وكان الجميع على جانب من الخلق والود، ولا شك أن الفائدة والمتعة في الترحال بمعية هؤلاء لا نظير لها مما أبقى لهذه الرحلة أثراً في النفس ..

وبعد جلسة في قاعة المطار كان الإخوة في قسم العلاقات العامة بجامعة الإمام يغمروننا بلطفهم وحسن تعاملهم وإنجاز لوازم السفر حتى حان موعد الإقلاع من مطار الرياض، وصعد الجميع إلى الطائرة التي أقلعت بنا متجهة إلى طوكيو عن طريق «مانيلا» على ارتفاع ٣٥.٠٠٠ قدم.

وفي سماء بلادنا كان الطيران مريحاً لهدوء الرياح وسكون الجو، وبعد تعليمات الطيران قدم الطعام لجميع المسافرين، وبعد الانتهاء من تناوله أطفئت أنوار الطائرة فاسترخى كل واحد منا في كرسيه، بعضهم استغرق في النوم، وبعضهم في القراءة، وللأسف فأنا من النوع الذي لا ينام في الطائرة، فتناولت مجموعة من الصحف والمجلات وأمضيت وقتاً لقراءة ما لدي من كتب عن اليابان مردداً قول الشاعر العربي امرؤ القيس في مناجاته لليل:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

ثم طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط الأحزمة لوجود مطبات هوائية وعواصف ورياح، فنحن نتجه إلى الشرق الأقصى، وهناك عواصف تجتاح

الكثير من البلدان وخاصة اليابان .. وهكذا بقينا معلقين في الجو طوال الليل، ومضت الطائرة تشق أجواء الفضاء في هدوء مهيب تلهب في الذهن الخيالات الكثيرة، ومرت شتى الخواطر في ذهني، وعاد بي الخيال متذكراً عالم الطيران بمحاسنه ومساوئه.

إن الرحلات ممتعة ومثيرة ومفيدة، والاستمتاع بقراءتها لا شك يضيف جديداً .. ولقد قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وبعد عبور المحيط الهندي بدأ انبثاق إشعاع الفجر ونهضنا لتأدية صلاة الفجر، وكم يشعر المرء بالراحة والسكينة بعد ذلك مردداً قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[1].

وأخذت أشاهد هذا الكون العظيم من ثقب نافذة الطائرة والذي هو من آيات الله، وأتذكر المغامرين من الرحالة كابن جبير وابن بطوطة وابن فضلان والسيرافي وماركو بولو وفاسكو داجاما، ثم شاهدت الجزر الفلبينية وكما هو معروف فالفلبين تضم سبعة آلاف جزيرة، وهذه الجزر أخذت اسمها من الملك فيليب الثاني أحد ملوك إسبانيا الذين دخلوها مع البرتغاليين الذين ارتادوا هذه المناطق وأقاموا فيها، واستقر الإسبان فيها ولذلك لا تزال اللغة الإسبانية لغة الكثير من السكان، وقد نقلوا الديانة المسيحية إلى هذه الجزر، ولقد سبق المسلمون الإسبان إلى هذه البلاد ونقلوا الإسلام إلى هذه الديار

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

وخاصة المناطق الجنوبية وخصوصاً جزيرة «مندناو».

وبينما كنت مستمتعاً بمشاهدة هذه الجزر أضيئت الإشارة الحمراء الخاصة بربط الأحزمة إشارة إلى مرور عاصفة على المحيط الهندي، والتفت إلى صديقي الدكتور/ عبدالملك الشلهوب قائلاً له: ما هذه العواصف والمطبات الهوائية فوق «المحيط الهندي» المعروف بهدوئه، أم لكوننا نجتاز خط الاستواء ثم اندمجنا في أحاديث جغرافية وتاريخية وإعلامية خاصة وهو أستاذ الإعلام بجامعة الإمام، ثم ربطنا الحزام وعدلنا المقاعد استعداداً للهبوط في مطار مانيلا، وكان في انتظارنا مندوب الخطوط السعودية، وناولناه تذاكر السفر وانطلق نحو الخطوط الجوية اليابانية لاستكمال إجراءات السفر نحو طوكيو وتجولنا في ربوع المطار مردداً قول الشاعر:

سـح في الـبلاد إذا أردت تعلمـا إن السـياحة في الـبلاد تفيـد

وبعد قضاء برهة من الوقت حيث أمضينا فترة من الراحة غادرنا مانيلا على متن إحدى الطائرات العملاقة اليابانية وبها أكثر من أربعمائة راكب من مختلف الأجناس مواصلين الرحلة طوال ست ساعات، وأخذ الزملاء في الحديث عن اليابان وتاريخها وعن كيفية صناعة وزراعة وتجارة اللؤلؤ في اليابان وعن تاريخها وحروبها وتقاليدها.

وفي الطائرة قدموا لنا الصحف اليابانية والطعام الياباني كما كنا نتلقى البث التلفزيوني من تلفاز طوكيو مباشرة، وكانت السماء ضباباً وأمطاراً ورياحاً، وتحدث إليَّ أحد الزملاء عن العواصف التي تجتاح اليابان، وخلال الحديث طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط الأحزمة لوجود عاصفة.

ودار الحديث في الطائرة حول هذه البلاد وكل واحد منا يتحدث عن شيء من تاريخ وحضارة هذه البلاد وصناعاتها الحديثة وأديانها ولغاتها وعن السكك الحديدية فيها ومستوى المعيشة، وكيف أنها مرتفعة التكاليف، وتناولت مجموعة من النشرات باللغة اليابانية التي لا أحسنها وأقلب في النشرات دون معرفة المضمون واهتزت الطائرة بعنف استعداداً للهبوط في مطار طوكيو.

وكان في الاستقبال عدد من الإخوة السعوديين منهم الدكتور عبدالله السهلي مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وعدد من الطلاب السعوديين ممن يتلقون العلم في الجامعات اليابانية، ثم توجهنا نحو الفندق وكان اسمه «نيوتاني» الذي وصلناه بعد ساعة ونصف من السير من المطار حيث كان سير السيارات بطيئاً رغم أننا في الساعة العاشرة ليلاً وكان مرافقنا الأخ وليد البهكلي أحد الطلاب السعوديين في طوكيو يشرح لنا معالم الطريق والجسور والجامعات والمكتبات والمتنزهات ومعالم الطبيعة البارزة من الجبال والأنهار والبحيرات وغير ذلك من المعلومات السياحية حتى لاح لنا الفندق ورأينا على مداخله مجموعة من الجالية العربية والإسلامية ومدير المركز الإسلامي الدكتور/ صالح السامرائي وغيره حيث حصل التعارف والحديث عن الرحلة: وقلت إنها كانت مريحة على طولها لشوقنا إليكم مردداً قول الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... سافر ففي الأسفار خمس فوائد

تَفَرّج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

وبينما كنا مستغرقين في الحديث عن برنامج الحفل والندوة الثقافية، إذا بالإخوة يدعوننا لأخذ الأمتعة والصعود نحو الغرف في هذا الفندق الذي يحتوي على ألف وثمانمائة غرفة، ويتكون من ثلاثة أبراج وأربعين طابقاً، وبه ثلاثون مطعماً وحديقة عالمية رائعة ذكرتنا بقول الشاعر:

نزلنا بها واستوقفتنا محاسن ... يحن إليها كل قلب ويهواها

وصعدنا إلى الغرف وجرى توزيع برامج الزيارة والحفل والندوة الثقافية ثم استغرقت في النوم بعد عناء رحلة طويلة واستراحة من متاعب السفر مما ذكرني بقول الشاعر:

تخلف عن الأسفار إن كنت طالباً ... نجاة ففي الأسفار سبع عوائق
تذكر إخوان وفقد أحبة ... وتشتيت أموال وخيفة سارق
وكثرة إيحاش وقلة مؤنس ... وأعظمها يا صاح سكنى الفنادق
فإن قيل في الأسفار كسب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة فائق
فقد كان ذا دهراً تقادم عهده ... وأعقبه دهر كثير العوائق
وهذا مقالي والسلام مؤيد ... وجرب ففي التجريب علم الحقائق

وقيل: إن السفر قطعة من العذاب.

ويروى عن الحجاج قوله: لولا فرحة الإياب لما عذبت أعدائي إلا بالسفر.

وقيل: السفر والسقم والقتال ثلاثة متقاربة، فالسفر سفينة الأذى، والسقم حريق الجسد، والقتال منبت المنايا.

وقيل السفر اغتنام لولا أنه إتمام، والغربة دربة لولا أنها كربة.

ويروى عن بعض الشعراء قولهم:

لا تغـــترب عـــن وطـــن واذكـــر تصـــاريف النـــوى
أمـــا تـــرى الغصـــن إذا مـــا فـــارق الأصـــل ذوى

إن المسافر مهما وجد من وسائل المواصلات والسكن وغيره فهو يعد غريباً، ولقد زخرت كتب الرحلات بالكثير من ذلك مما قلته للزملاء ونحن في قاعات الفندق والمطار وغيرها، ومع هذا كله فهو أي السفر يجد البعض فيه متعة وفائدة ونشاطاً وحيوية، خاصة من كان ذا هدف نبيل، وغاية كريمة علمية وتاريخية، لقد شط بي الحديث ولنعد إلى موضوع رحلتنا، والحديث عن الفندق الذي أقمنا به يقع هذا الفندق في وسط المدينة وهو حسن التنسيق، وموظفوه في غاية الرقة وحسن الأدب والبشاشة، وكل شيء نظيف ومرتب فلا تقع العين إلا على ما يستهوي النظر، كما أن الغرف على جانب من التنسيق والنظافة، وقد أعد فيها ما يحتاج إليه من لباس النوم وأدوات تنظيف الأسنان وآلات الحلاقة وكلها تغير كل يوم وبه عشرات المطاعم اليابانية والصينية والأوروبية.

ولقد كان الجو أميل إلى البرودة وكان ممطراً، ونزلت في غرفة في الطابق الثامن تطل على حديقة منسقة أبدع تنسيق وغاية في الجمال، كما أن المنطقة التي يقع فيها الفندق منطقة فاخرة في حي تجاري حديث، وفي الصباح خرجت مسرعاً أتجول في هذه المنطقة وبين أشجار الحديقة الخضراء.

***

جولات استطلاعية وسياحية في اليابان

وفي صباح يوم الأحد الموافق ١٢/ ٢/ ١٤٢٢هـ، توجهنا لزيارة بعض المعالم السياحية والأسواق والتجوال بالقطار لمشاهدة معالم المدينة التي يسكنها ستة عشر مليوناً أحس بينهم بما قاله المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وصادف هذا اليوم الأحد يوم عطلة ومررنا بعشرات الأماكن والمتنزهات، وشاهدنا أجناساً متعددة من العالم فنجد الصينيين والهنود والباكستانيين واليابانيين وشتى الألوان والأجناس، ثم ذهبنا إلى سوق «الإلكترونيات» بأدواره المتعددة حيث توجد به التحف والمصنوعات والتلفزيونات والراديوهات والآلات الكهربائية المتنوعة والمخترعات الحديثة وكل ما يخطر على البال.

ثم أخذنا سفينة تجولنا فيها وسط نهر طوكيو استغرقت أكثر من ساعتين شاهدنا المدينة ومعالمها ومبانيها الشاهقة ومصانع السيارات وغيرها، لقد كان يوماً حافلاً بالفائدة والمتعة والتنقل في تلك الربوع، ورغم أنها كانت متعبة حيث كنا مواصلين السير إلا أنها ممتعة في تجدد المناظر والمرور على مناطق مختلفة، ومشاهدة كل جديد من المطارحات الشعرية والمفاكهات الأدبية، وإيراد القصص الطريفة والذكريات الجميلة، وإنشاد الأشعار وأقوال الحكماء.

ونزلنا من السفينة ومشينا على الأقدام لمدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى محطات القطار وامتطينا القطار إلى منطقة الفندق، وكنا نشاهد ناطحات

السحاب وبها الأحياء المختلفة، وشاهدنا برج طوكيو الشاهق ومررنا ببعض الجامعات، وكان الأخ إبراهيم الجردان وعبدالله القحطاني من الطلبة السعوديين يرافقاننا ويشرحان لنا تلك المعالم والمناظر، ثم سرنا في جو غائم ظليل إلى منطقة «أساكوسا»، ثم منطقة «أكواستي» وميدان سباق الخيل الكبير.

وبعد جولة طويلة في أنحاء ومعالم طوكيو، انصرفنا نحو أحد المقاهي المطلة على النهر لتناول الشاي والمرطبات، وكان الشاي بارداً جداً، ثم غادرنا المكان قاصدين الفندق عبر عدة محطات للقطار السريع الذي يتسع للآلاف من البشر.

ولقد بدأ تشغيل أول خط حديدي عام ١٨٧٣م بين مدينة طوكيو ويوكوهاما، والقطار الياباني من أجمل قطارات العالم وأطولها وأكثرها راحة وأناقة، ولبثنا فترة ليست طويلة نسير في طرق مدينة طوكيو ذات الملايين الستة عشر، وكان بجواري مندوب جريدة الشرق الأوسط الأخ/ إمام محمد إمام وقد قدِم من لندن لتغطية أخبار الحفل، وكانت الرحلة لعمل مقارنة بين لندن وطوكيو من حيث المواصلات ومظهر الناس الحسن، وكذا مظهر القطارات من حيث النظافة والطلاء والترتيب.

وقال: إن لندن أفضل بمراحل من طوكيو. فقلت له: هذه الأفضلية لا يستطيع الإنسان أن يؤكد صحتها وعمقها إلا بعد دراسات وإحصاءات، ورغم أن طوكيو مكتظة بالسكان غير أن المرء يلاحظ قلة بل ندرة ظاهرة الغبار والتلوث، ولعل جوها الندي وخاصة في هذا الشهر مايو الذي يغسل مطره الأشياء ويلبد نداه ليبعد عنها الغبار والأتربة.

وخرجنا من محطات القطار نتبادل الأحاديث والانطباعات مع الإخوة الدكاترة محمد السالم، وعدنان الوزّان، وخالد الحمودي، وإبراهيم الزكري، وعبدالملك الشلهوب، ومحمد المقيطيب، وسمير عبدالحميد، وعبدالله اليحيى، ووصلنا الفندق والتقينا ببعض الزملاء ممن ذهبوا لمناطق أخرى، وقد حدثنا الدكتور/ أنور عشقي والأستاذ صالح السالم بانطباعاتهما عن المناطق التي قاموا بزيارتها.

وذهبنا في رحلة سياحية لزيارة «هاكوني» وهي تبعد عن طوكيو ساعة ونصف الساعة، وهي من أشهر الأماكن السياحية في اليابان، وبها ينابيع المياه المعدنية الساخنة، حيث يستحم بها السياح. ومحاطة بنخيل «فوجي» وتحتوي على مجموعة من المطاعم والفنادق والملاهي، وجبل فوجي هو أعلى جبل في البلاد وارتفاعه ٣٧٧٦ متراً، وفي اليابان يوجد عُشر مجموع البراكين في العالم بأسره، ومعظم اليابان عبارة عن جبال شاهقة بينها وديان ضيقة، والواقع أن ٦٨٪ من اليابان هي مناطق جبلية، وأغلب السكان يختارون السكن في المناطق المستوية أو المرتفعة ارتفاعاً بسيطاً حيث تكون الزراعة ونقل البضائع أسهل بكثير، ولقد لاحظت أن البيئة الطبيعية في اليابان جميلة، ولكن البراكين والزلازل كثيراً ما تسبب لهم المشاق التي تَعَلَّم اليابانيون أن يتعايشوا معها.

لقد لاحظت أن البحار تحيط بهذه البلاد من كل جانب، فالمحيط الهادي في الشرق، وبحر اليابان في الغرب، وبحر شرق الصين في الجنوب، وبحر أوكوتسك في الشمال، وما أعظم قدرة الله! ولقد لاحظت الاهتمام بالنظافة والحرص على التنسيق والجمال بأبدع صوره وكثرة الورود والزهور، ولقد

استهواني جمال الحديقة المجاورة للفندق وهي تحتوي على شلالات متعددة وبحيرة يعوم فيها البط وصنابير المياه العذبة منتشرة في كل أنحاء الحديقة وباعة المشروبات ومجموعة من المطاعم، وأسراب الطيور والحمام تحوم في جوانب الحديقة، وشاهدت أطفالاً ينثرون لها الحب مما ذكرني بقول الشاعر العربي:

تسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

إنها حديقة تستحق الزيارة، فإضافة إلى ما فيها من أنواع النباتات والأشجار فإنها منسقة تنسيقاً يسر الناظرين، إلى جانب أشجار مختلفة الألوان كثيرة الأنواع ذات رائحة عطرية، كما تحتوي على غابة من الأشجار والزهور الجميلة.

وفي الحديقة التقيت بأحد أبناء الجالية الإسلامية من أبناء الباكستان فحكى لي عما تتميز به هذه البلاد من وجود حيوانات فريدة حيث يوجد بها طيور وحيوانات لا توجد في أي مكان في العالم، وصار يعدد أنواعها، كما أنها موطن حوالي ٦٠٠٠ نوع من النباتات المحلية، كما أن لبعض النباتات معاني رمزية فمثلاً تعبر زهور الكرز عن الجمال قصير العمر وأشجار الصنوبر ترمز لصناعة الأدوية والملابس والورق والأدوات المختلفة.

ومن الحديقة خرجت لمحطة القطار وهي أشبه بخلية النحل وأعداد البشر بالملايين ولكنهم في غاية الترتيب والتنظيم. والأشكال متشابهة والأجسام متماثلة، وهم في حركة دائبة ونشاط متواصل وإدمان على العمل.

لقد أمضينا يومين كاملين في جولات استطلاعية منذ بلغنا هذه المدينة

متنقلين بين ضواحيها ومبانيها الحديثة وأسواقها وشوارعها وحدائقها التي تنتشر فيها وسفوح جبالها الخضراء، وكل ما فيها يوحي إليك بالقوة والنشاط والعمل.

***

جامعاتنا السعودية ودورها الثقافي الرائد

لجامعاتنا السعودية أنشطة متنوعة تحاول من خلالها تحقيق الكثير من الغايات والأهداف في الإطار الثقافي، وذلك لتحقيق أهداف رسالتها العلمية بحيث تصل إلى مختلف أرجاء العالم، ولجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برامج علمية تتميز بها في الداخل والخارج. فقد أوجدت معاهد للجامعة في بعض الدول خارج المملكة في واشنطن وإندونيسيا واليابان وموريتانيا والإمارات العربية المتحدة بهدف نشر رسالة الإسلام وتعميق الحوار والتفاهم والتعاون والتبادل الثقافي.

وفي إطار توثيق أواصر التعاون الثقافي بين المملكة اليابان ولإتاحة الفرصة للراغبين من الشعب الياباني في تعلم اللغة العربية والتعرف على الحضارة الإسلامية قامت المملكة ممثلة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإنشاء المعهد العربي الإسلامي في طوكيو عام ١٤٠٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ أسهم المعهد في تحقيق هذا الهدف من خلال البرامج التعليمية والثقافية المتنوعة التي قام بها.

وتحقيقاً لرسالة المعهد صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – رحمه الله – على تنظيم ندوة العلاقات الثقافية السعودية في طوكيو خلال الفترة ١٣-١٥ صفر ١٤٢٢هـ، وقام بافتتاحها معالي الأستاذ الدكتور/ محمد بن سعد السالم مدير الجامعة.

ولقد كانت ندوة رحبة خصبة موفقة حضرها عدد من الشخصيات

السعودية واليابانية، ونخبة من المثقفين والمؤرخين السعوديين واليابانيين الذين تناولوا العلاقات الثقافية بين البلدين من خلال ١٩ بحثاً علمياً تم عرضها في خمس جلسات خلال أيام الندوة، وتبع ذلك عدد من الفعاليات والنشاطات المصاحبة على النحو التالي:

معرض للصور واللوحات عن المملكة العربية السعودية .. وعرض فيلم وثائقي عن المملكة وغيرها، لقد كانت بحق ندوة لتفعيل الحوار الثقافي بين السعودية واليابان، وتعميق الحوار والتفاهم والتبادل الثقافي.

وشارك في الندوة منظمات يابانية إسلامية، وحضر افتتاحها عدد كبير من الضيوف وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي، وفي مقدمة الجميع ابن عم الإمبراطور «أكيهتيو» الذي وصف المعهد بأنه نافذة لانفتاح اليابان على الثقافة الإسلامية وتعزيز الحوار مع المسلمين.

وفي الكلمة الافتتاحية أكد سفير المملكة لدى اليابان السيد محمد كردي اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بدعم هذا الصرح، والمعهد كمنارة للمعرفة والثقافة والعلم جعل كل ذلك متاحاً للمسلمين في اليابان لترويج التبادل العلمي والتعريف بالحضارة الإسلامية.

وقال: إن الندوة تمثل تظاهرة سعودية إسلامية أبرزت دور المملكة المركزي في بناء جسر بين طرفي آسيا يدعمه التفهم للدين والقيم والحضارة الإسلامية ومدى الأهمية التي تعلقها المملكة على اليابان في تعزيز الحوار بين الحضارات، كما أن مدير الجامعة الدكتور محمد السالم أكد على اهتمام الجامعات السعودية بدعم العلاقات الوطيدة والتعاون بين العالم الإسلامي

والشعب الياباني، وأن هذه الندوة تعتبر محوراً للعلاقات بين السعودية واليابان والإسلام في ميادين البحث ومجالات الترجمة وتأمين تطلعات الباحثين.

لقد حظيت جلسات هذه الندوة بحضور متميز وتقديم بحوث بناءة، وحوارات مفيدة تحقق بفضل الله من خلالها الهدف المنشود من تنظيم هذه الندوة وهو إنجاز مرحلة أخرى في مسيرة المعهد لتقوية أواصر التعاون الثقافي بين المملكة واليابان، واستشراف ما يمكن إنجازه من مراحل في المستقبل. وهذا ما أكد عليه الباحثون بأهمية تطوير العلاقات بين الدولتين في المجال الثقافي إضافة للمجال الاقتصادي.

❋❋❋

زيارة السفارة السعودية

وفي صباح يوم الاثنين ١٣/ ٢/ ١٤٢٢هـ، كان أول ما فكرنا فيه زيارة السفارة السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ/ محمد بشير كردي، فبعد أن قاربت الساعة العاشرة خرجنا من الفندق ومضينا نحو السفارة حتى وقفنا على بابها، وإذا بأحد الحراس يستقبلنا بكل بشاشة ولطف، يفسح الطريق لنزول سيارتنا إلى «المرآب»، وصعدنا إلى الدور الرابع حيث مكتب سعادة السفير الذي وجدناه في الانتظار ومرحباً بهذه الزيارة، ولقد كان استقبالاً حسناً وترحيباً كريماً، وأخذ في الحديث عن هذه البلاد وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، وأحضر لنا القهوة العربية، والتمور السعودية، والشاي الساخن وأكواباً من الشاي الياباني، وألح بالدعوة للضيافة، كما أطلعنا على مجموعة من الكتب وصور السفراء الذين كانوا قبله في هذه السفارة.

وطوال بقائنا في طوكيو كنا نلتقي به في كل ليلة لمسامرة سعادته في الأدب والشعر والدبلوماسية والتاريخ، وكان حريصاً على حضور جلسات الندوة الثقافية، ودعانا في أكثر من أمسية لتناول العشاء والشاي بمنزله، فقلت له: إنك تذكرني بقول الشاعر:

حبيب إلى الزوار غشيان داره ... كريم المحيا شبَّ وهو أديب

وألقيت عدة قصائد حين كنا في مسامرة سعادته بمنزله، وما قيل في مكارم الأخلاق والنخوة والشهامة والمروءة.

ولقد كانت فرصة طيبة للاجتماع بالإخوة السعوديين الذين منهم العاملون في السفارة، ومنهم الدارسون في الجامعات والمعاهد اليابانية، وكانت جلسات جيدة اكتمل الأنس فيها؛ لأن الكلفة فيها بين الجالسين قد رفعت، ولأن المودة والأخوة كانت سمة الجميع، وكانت جلسات مفعمة بالأحاديث الأدبية والثقافية وحافلة بالنقاش العلمي والتاريخي.

***

المعهد العربي الإسلامي يستأنف نشاطه العلمي

في مساء يوم الاثنين الموافق ١٣/ ٢/ ١٤٢٢هـ، توجهنا صوب المعهد العربي الإسلامي الذي يقع بالقرب من مقر السفارة السعودية، وقد وجهت الدعوات إلى الجامعات والسفراء العرب والمسلمين والمراكز والهيئات الإسلامية الحفل بمناسبة مباني المعهد الجديدة واستئناف نشاطه العلمي.

وبعد تلاوة آيات من الذكر الحكيم، ألقى معالي مدير جامعة الإمام الأستاذ الدكتور/ محمد السالم كلمة استعرض فيها دور المعهد في دعم العلاقات السعودية اليابانية وتنميتها في جميع المجالات، مشيراً إلى أن افتتاح المعهد يمثل استجابة كريمة من الحكومة السعودية لطلب المسلمين في اليابان لسد حاجاتهم من العلوم الشرعية والعربية، ورعاية شؤونهم في مختلف النواحي.

وقال: إن المعهد روعي عند تصميمه أن يكون شكله دالاً على وظيفته، وأن يكون رسالة تراثية تهدف إلى تعريف المجتمع حوله بالتراث المعماري والحضاري والثقافي لبلادنا العربية والإسلامية وقيمنا الاجتماعية، كما تمت الاستفادة القصوى من أرض الموقع في حدود ما تسمح به الأنظمة.

وأن إنجاز المبنى واستئناف نشاطه بحمد الله وتوفيقه شاهد من شواهد العصر، وعلامة مضيئة يسير على هداها الساري، وحسنة من حسنات خادم الحرمين الشريفين، وعمل من أعماله لا ينقطع.

وأوضح الدكتور / السالم أن ندوة «العلاقات الثقافية السعودية اليابانية:

الواقع وآفاق المستقبل» تأتي من منطلق الرغبة المتبادلة بين الحكومة السعودية واليابان في دعم التعاون فيما بينهما لمصلحة الطرفين، واستجابة لحرص خادم الحرمين الشريفين وولي العهد والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء لتلبية احتياجات المسلمين والأصدقاء في اليابان، كما أنها تأتي استشعاراً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمسؤولياتها تجاه تحقيق هذه الرغبة السامية.

قد حرصت الجامعة على أن تشمل محاور الندوة كل الجوانب المتعلقة بالعلاقات الثقافية السعودية – اليابانية، وقد استكتب لهذه الندوة عدد من الأكاديميين والمختصين من الجامعة ومن خارجها لتأتي بالشكل المطلوب ووفق التطلعات.

وألقى الأستاذ محمد بشير كردي، سفير المملكة العربية السعودية في اليابان، كلمة أعرب فيها عن سعادته لاستئناف المعهد العربي الإسلامي نشاطه العلمي والثقافي في اليابان، مشيراً إلى أهمية العلاقات اليابانية – السعودية وضرورة تمتينها وتطويرها لما تلعبه اليابان من دور مهم في العالم الصناعي اليوم.

وقال: إن المعهد يخدم قضايا الجاليات المسلمة في اليابان، ولا سيما في مجال الدعوة والتعليم، كما أنه يساهم في التعريف بالعقيدة الإسلامية الصافية والمحافظة على الهوية الدينية الإسلامية.

ودعا إلى ضرورة تضافر جهود المؤسسات والمنظمات والمراكز الإسلامية في سبيل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ورحب بالمشاركين من الأكاديميين المختصين في أعمال ندوة «العلاقات

الثقافية السعودية اليابانية»، متمنياً للمؤتمرين نجاح هذا الملتقى العلمي الطيب الذي يؤصل لمستقبل العلاقات السعودية – اليابانية، ومن ثم العلاقات اليابانية – العربية الإسلامية.

وقال الدكتور/ عبدالله السهلي، مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو أن المعهد أدرك أهمية تهيئة بيئة إسلامية صالحة لأبناء الجالية الإسلامية وربطهم بمجتمعهم وثقافتهم الإسلامية، لذلك تم استحداث برنامج أسبوعي لتعليم أبناء الجالية الإسلامية اللغة العربية والدين الإسلامي، على أمل تعميم هذا البرنامج بحيث يشمل أيام الأسبوع كلها، كما نظم المعهد برنامجاً خاصاً لأسر الجالية المسلمة، يشمل تدريس القرآن الكريم وتجويده.

وأضاف الدكتور السهلي: إن ندوة العلاقات الثقافية السعودية – اليابانية التي تنظمها الجامعة ممثلة في المعهد حالياً تمثل أحد المناشط التي اضطلعت بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من خلال المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وتعتبر خطوة مهمة نحو تحقيق أهدافه التي رسمتها حكومة خادم الحرمين الشريفين، ومن المؤمل أن تخرج هذه الندوة بتوصيات ونتائج علمية تعزز من نشاط المعهد والجامعة وعلاقتها بالمؤسسات العلمية في أنحاء اليابان.

وألقى البروفيسور كاتاكورا كونيو، الأستاذ في جامعة دايتو اليابانية، كلمة عبر خلالها عن سروره لهذا اللقاء الطيب في رحاب بلاده، مشيداً بدور المعهد الثقافي والإسلامي وأثره الطيب في تحسين العلاقات اليابانية – السعودية وتطويرها في مختلف المجالات.

وتحدث في الحفل هيقوشي ميماساكا، المسؤول في جمعية مسلمي اليابان،

معرباً عن فرحته لاستئناف المعهد لنشاطه العلمي والثقافي والديني، داعياً إلى تضامن الجاليات المسلمة في اليابان لخدمة الإسلام والمسلمين والعمل للحفاظ على الهوية الدينية الإسلامية للمجتمع المسلم في اليابان.

وذكر أن المعهد العربي الإسلامي قد أنشئ في عام ١٣٩٨هـ، في طوكيو، وقام بنشاط واسع في مجال تعليم اللغة العربية والدعوة الإسلامية، وخدمة الجالية العربية والإسلامية في اليابان، وتطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين السعودية واليابان.

***

ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية

بعنوان: «العلاقات الثقافية السعودية اليابانية رسالة ثقافية» في صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤/ ٢/ ١٤٢٢هـ، افتتح الدكتور محمد بن سعد بن عبدالعزيز السالم، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض أعمال الندوة، وتضمنت الندوة ستة محاور ناقشت قضايا العلاقات الثقافية السعودية – اليابانية: التاريخ والتطور.

والإسلام في اليابان: التاريخ والانتشار، والمؤسسات القائمة هناك.

- ودراسة اللغة العربية والثقافة والحضارة الإسلامية في اليابان: الماضي والحاضر.
- والتأليف والترجمة من اللغة اليابانية وإليها في مواضيع اللغة العربية والدين الإسلامي.
- والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو: النشأة والمنجزات، وجمعية الصداقة السعودية – اليابانية: النشأة والمنجزات.
- وتشتمل الندوة على فعاليات مصاحبة نظمتها اللجنة التحضيرية للندوة، منها: معرض لمطبوعات الجامعة، ومعرض لصور ولوحات ورسوم بيانية عن الجامعة بصفة خاصة، وعن السعودية بصفة عامة، وعرض أفلام تعريفية عن الجامعات السعودية.

ولقد أكد الأمير الإمبراطور «تاكا مادو نوميا نوريهيتو» أن العلاقات السعودية اليابانية تتمتع بقوة ومتانة كبيرة حرصت كلتا الدولتين على دعمها وإرساء قواعدها.

وقال سموه: إن البعد الجغرافي بين الدولتين حال دون تبادل ثقافي غني بينهما، لذلك نجد عدداً كبيراً من اليابانيين لا يعرفون الكثير عن المملكة وعن الحضارتين العربية والإسلامية.

وأوضح الأمير تاكامادو نوميا نريهيتو أننا عندما نتحدث عن العلاقات السعودية اليابانية فإن تفكيرنا يجب ألا ينحصر على العلاقات السياسية والاقتصادية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل النواحي الثقافية.

وقال: إن الندوة تطرقت لواقع العلاقات الثقافية السعودية اليابانية، وكيف يمكن أن نرتقي بهذه العلاقة ونستثمرها في المستقبل.

ومن وجهة نظري اعتقد أن إيصال الصورة الحقيقية والمعلومة الصحيحة عن الإسلام والعالم العربي إلى أفراد الشعب الياباني هي الخطوة الأهم في الوقت الحاضر، وفي نفس الوقت العمل على زيادة معرفة أفراد الشعب السعودي باليابان وآسيا وسوف يسهم هذا في تعميق التفاهم والحوار بين الشعبين، هذا بدوره سيكون خطوة مهمة في دعم العلاقات وتعزيز التعاون في مجالات جديدة.

المعهد العربي الإسلامي في طوكيو صرح حضاري ومفخرة سعودية:

إن هذا المعهد الإسلامي في هذه البلاد هو منارة عربية إسلامية امتدت لجسر التواصل والعلاقات الحضارية والثقافية بين المملكة واليابان التي بدأها الملك عبدالعزيز يرحمه الله قبل ما يزيد على سبعين عاماً منذ زيارة القنصل الياباني في مصر للملك عبدالعزيز في جدة بهدف إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين.

ولقد كان قيام خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز – رحمه الله – بزيارة للمعهد والتقائه بأبنائه الطلبة السعوديين الدارسين في اليابان خلال زيارته لليابان عام ١٤١٩هـ، بداية انطلاقة المعهد بعد تسلم الجامعة لمبناه الجديد، وأعطته دفعة قوية لممارسة نشاطه، والقيام بالدور المناط به حيث تم افتتاح المصلى للمصلين، واستأنف نشاطه في الدعوة والإرشاد والدروس العلمية.

وسبق للمعهد أن شرف باستقبال عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء في سنوات مضت، منهم صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز – رحمه الله – وصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب – رحمه الله – وغيرهم.

أهداف المعهد:

نشر الإسلام وتعليم العربية.

أنشئ المعهد لتحقيق غايات وأهداف نبيلة من أهمها:

١) التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية.

٢) توثيق روابط الصداقة بين الشعب الياباني والشعوب العربية، وتوطيد العلاقة بين اليابان والمملكة العربية السعودية خاصة والعالم العربي والإسلامي بعامة.

٣) نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها.

٤) مساعدة المسلمين اليابانيين وغيرهم للتعرف على أمور دينهم على مقربة من إقامتهم.

٥) ترجمة الأبحاث الإسلامية والعربية المناسبة من اللغة اليابانية وإليها.

٦) العناية بأبناء العاملين في السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي والجاليات الإسلامية وذلك بتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي وربطهم بهويتهم الثقافية.

مركز البحوث والترجمة والعلاقات الثقافية:

ويضم هذا القسم مكتبة متخصصة في العلوم العربية والإسلامية، وذلك لخدمة الباحثين وطلاب العلم وتزويدهم بالمصادر الموثوقة، وتسهيل الطرق أمامهم للاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية ويهدف هذا القسم إلى:

١. إجراء البحوث والدراسات اللغوية والتربوية الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير العرب والإشراف على التخطيط لها.

٢. بحث المشكلات اللغوية والتربوية والتعليمية التي تعاني منها المدارس العربية والإسلامية في اليابان.

٣. المشاركة في وضع أسس علمية لتأليف الكتب الدراسية وإعداد الوسائل المعينة المناسبة.

٤. إصدار النشرات، ونشر البحوث الخاصة في هذا الميدان.

٥. تنظيم الدورات والحلقات الخاصة في المجالات السابقة.

٦. إجراء البحوث التي تساعد على التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين

في الاطلاع على الثقافة الإسلامية.

٧. ترجمة الأبحاث العربية والإسلامية المناسبة من اللغة اليابانية وإليها.

٨. تقوية العلاقات الثقافية بين المعهد والمؤسسات التربوية المماثلة داخل اليابان، وكذلك تبادل الخبرات في مجال اللغة العربية لغير العرب، وفي مجال الدراسات الإسلامية.

٩. تنظيم المحاضرات والندوات والأمسيات الثقافية.

١٠. إصدار مجلة دورية خاصة بالمعهد تعمل على تحقيق أهدافه.

١١. تقديم الثقافة العربية والإسلامية بمختلف صورها بالطرق المسموعة والمرئية والمكتوبة لأبناء اليابان بكل الوسائل الممكنة.

وبالإضافة إلى الخدمات التعليمية، للمعهد إسهامات عديدة من أهمها:

١) **مصلى المعهد**: وتعتبر هذه الخدمة من أجل الخدمات التي تقدم للمجتمع وخاصة القطاع الإسلامي في اليابان، فقد انتقلت صلاة الجمعة إلى مصلى المعهد منذ مدة طويلة وصارت إمامة هذا المصلى وإعداد الخطب وترجمتها إلى اليابانية والإنجليزية والأردية من صميم أعمال المعهد، ومثل هذا الأمر في إقامة صلاة العيدين. والمصلى مفتوح لاستقبال المسلمين في أي وقت.

٢) **مكتبة المعهد**: وتقدم خدماتها للباحثين في شتى المجالات، كما تزود المسلمين اليابانيين بنسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية.

٣) أصدر المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي «دليل المسلم في اليابان».

٤) شكل المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي لجنتين: إحداهما لجمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها والثانية لرؤية الهلال.

٥) ينظم المعهد نشاطات للطلاب السعوديين في اليابان، ويقدم لهم التسهيلات ويرسل إليهم الصحف والمطبوعات والكتب لربطهم بوطنهم وهويتهم الدينية والثقافية.

***

الشعر السعودي يصدح في سماء طوكيو

خلال حفل العشاء الذي أقامه سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين لدى اليابان في نادي طوكيو السيد محمد بشير كردي تكريماً للمشاركين في الندوة الثقافية، وكان حفلاً شائقاً تبودلت فيه الأحاديث والمناقشات العامة ثم أقيمت أمسية شعرية سعودية شاركت فيها بإلقاء مختارات من قصائد ديواني «شعاع في الأفق»، كما شارك الدكتور/ أنور عشقي بإلقاء مجموعة من القصائد وقد أدار هذه الأمسية الشعرية الأستاذ/ د. عبدالملك الشلهوب أستاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد وجدت صدى طيباً من الحاضرين حيث صدح الشعر السعودي في هذا النادي العريق، وهذه البلاد الممتلئة بالورود والزهور والخضرة والنضرة والأشجار، فهي بلاد الشعر لمن أراد أن يتغنى بالشعر وينشده.

فالفنون بمختلف أنواعها تتمتع بشعبية كبيرة، وتجذب أعداداً غفيرة من الجمهور في المهرجانات الشعبية كما يتمتع المسرح الحديث بشعبية كبيرة، ويعرض في مسارح طوكيو مسرحيات أدبية كثيرة من بينها أعمال لشكسبير وغيره من مشاهير الكتاب والأدباء.

وقد حدثنا بعض الإخوة أن هناك ثلاثة أشكال تقليدية للمسرح الياباني، ويرتدي الممثلون أقنعة وملابس على الطراز القديم، وينشدون أشعارهم وهم يتحركون ببطء شديد.

وقلت لأحد الأصدقاء اليابانيين: لسنا نعرف في الثقافة العربية شيئاً عن

الأدب الياباني وعن شعراء اليابان، فحدثني عن مجموعة من شعراء اليابان الذين ذاع صيتهم من شعراء «الهايكاي» من العصور السابقة، ومن أهم الشعراء «ماتسوباشو» ١٦٤٤م، و«بيجما» ١٦٦١م، و«يوسانو» ١٧٦٦م، و«شيكي»، وقصيدة الهايكو هي درة الشعر الياباني وتعد من أكثر أشكاله شهرة وأهمية.

***

زيارة المركز الإسلامي في طوكيو

ذهبت مع جمع من الزملاء لزيارة المركز الإسلامي في طوكيو، ويقع في محافظة سيتاجابا، وطوكيو مكونة من ٢٣ محافظة بناءً على دعوة من رئيسه الدكتور صالح السامرائي الذي زارنا في الفندق، وشارك معنا في الندوة ببحث عن الإسلام في اليابان.

ولحسن الحظ كان الجو غائماً مما يغري بالخروج والتجول وقد حضر سعادته إلى المعهد، وبعد انتهاء برنامج الندوة الصباحي ركبنا سيارة المعهد التي انطلقت بنا مخترقة شوارع طوكيو وميادينها، وكان سعادته يشرح لنا بعض المعالم حتى وصلنا إلى المنطقة التي يقع فيها المركز وهي منطقة لا تتميز بالسعة لكثرة المباني، وصادف مرورنا خروج التلاميذ من مدارسهم فرأيناهم بملابس نظيفة وأجسام تظهر عليها الصحة والعافية، ووجدنا في الاستقبال في المركز مجموعة من الإخوة العرب واليابانيين.

وقد شرح لنا الدكتور صالح ما يقوم به المركز من عمل ونشاط، وقد كتب اسم المركز على مدخله في لافتة كبيرة، وهو يتكون من خمسة أدوار تجولنا في مختلف نواحيه.

وقد حدثنا رئيس المركز الإسلامي في اليابان عن تاريخ الإسلام في اليابان وانتشاره الذي استغرق زماناً وامتد مكاناً، وتأخر وصول الإسلام إلى اليابان إلى أواخر القرن التاسع عشر، ويعبر اليابانيون عن أسفهم واستغرابهم من هذا التأخير، في الوقت الذي وصل فيه الإسلام إلى الصين والفلبين في وقت مبكر.

لقد عاش الدكتور صالح أربعين سنة في هذه الديار، وكان قبلها أستاذاً في جامعة الملك سعود في الرياض، وقد تحدث عن بداية دخول الإسلام إلى اليابان على الباخرة «آل طغرل» وعلى ظهرها أكثر من ستمائة ضابط وجندي عثماني «ترك وعرب وألبان وبوسنيون .. إلخ»، يقودهم الأمير عثمان باشا، وذلك عام ١٨٩٠م.

وبعد أن أدت البعثة مهمتها في اليابان وقابل رئيسها الإمبراطور، عادت أدراجها، إلا أنها وهي لا تزال على الشواطئ اليابانية ليس بعيداً عن أوساكا هب عليها إعصار شديد، أدى إلى تحطمها واستشهد أكثر من خمسمائة وخمسين شخصاً وفيهم أخو السلطان ومعهم عثمان باشا.

ولقد هزت الحادثة الطرفين، ونقل الناجون على باخرتين يابانيتين إلى إستانبول، ودفن الشهداء عند الموقع، وعمل متحف بجانبهم ويحتفل اليابانيون والأتراك إلى يومنا هذا كل خمس سنوات بهذا الحادث في نفس الموقع.

وبعد سنة من الحادث تبرع صحفي ياباني شاب «أوشاتارو ونودا» وجمع تبرعات من اليابانيين لعوائل الشهداء وذهب إلى استانبول عام ١٨٩١م، وسلّم التبرعات للسلطات العثمانية وقابل السلطان عبدالحميد، وأثناء إقامته في إستانبول لقي أول مسلم إنجليزي وهو «عبدالله غليام» وهو من مدينة ليفربول، وبعد التحادث معه، قبل دين الإسلام وتسمى «عبدالحليم»، ويمكن اعتبار «عبدالحليم نودا» أول مسلم ياباني، تبعه بعد ذلك يامادا الذي وصل استانبول عام ١٨٩٣م يحمل التبرعات وطلب منه السلطان عبدالحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين، واتخذ اسم خليل أو عبدالخليل، فبذا يمكن اعتباره ثاني مسلم ياباني.

أما الشخص الثالث فهو أحمد أريجا وكان مسيحياً يعمل في التجارة، زار مدينة بومبي عام ١٩٠٠م، ولفت نظره مسجد فيها فدخله وأسلم هناك، وعاد داعية وشارك في إحدى ترجمات معاني القرآن الكريم لليابانية، وفي هذه المرحلة سكن تجار من الهند في كل من طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وبذا يعتبرون أول جالية إسلامية تقيم في اليابان.

تردد على اليابان مبعوث للسلطان عبدالحميد يدعى «محمد علي»، وذكرت الوثائق أنه كان يخطط لإقامة مسجد في يوكوهاما. كما زار اليابان الضابط بروتو شابا مبعوث السلطان عبدالحميد كمراقب للحرب اليابانية الروسية – ١٩٠٤-١٩٠٥م، وأقام سنين وقابل الإمبراطور وألف كتاباً من جزأين باللغة التركية.

وبعد الحرب اليابانية الروسية سربت اليابان أنباء عالمية عن اهتمامها بالإسلام والعالم الإسلامي مما حفز المسلمين في كل مكان للاهتمام بنشر الإسلام في اليابان.

فقد ذكر العقاد أن ضباطاً مصريين بهرتهم انتصارات اليابان وتطوعوا في الجيش الياباني وتزوجوا يابانيات وخلفوا منهن ومنهم من عاد إلى مصر ومنهم من بقي. كما زار الداعية الهندي سرفراز حسين اليابان عام ١٩٠٥م وأوائل ١٩٠٦م، وألقى محاضرات عن الإسلام.

وأقيم أول مسجد في أوساكا للأسرى المسلمين الروس بعد الحرب وذلك عام ١٩٠٥م. ولقد نشرت الأخبار في العالم الإسلامي أن مؤتمراً يعقد في طوكيو عام ١٩٠٦م، يقارن اليابانيون فيه بين مختلف الأديان لاختيار الدين

الصحيح، هكذا وصلت الأخبار المبالغ فيها، فتحمس المسلمون في كل مكان لحضور المؤتمر، وذكر السيد علي أحمد الجرجاوي وهو محام شرعي أزهري أنه ذهب لحضور المؤتمر وألف كتاباً أسماه «الرحلة اليابانية».

يقول: إنه وداعية صيني يسمى سليمان الصيني، وروسي يدعى مخلص محمود، وهندي اسمه حسين عبدالمنعم كونوا جمعية طوكيو للدعوة الإسلامية، وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألف ياباني، وقد استهجن هذا الكلام بعد سنتين أو ثلاث رحالة وداعية مسلم من روسيا زار اليابان، استهجن هذا الادعاء واستهجن كذلك ادعاء الجرجاوي الداعية، والمفكر الهندي محمد بركة الله الذي أقام في اليابان خمس سنوات ما بين ١٩٠٩م-١٩١٤م.

كما جاء الداعية عبدالرشيد إبراهيم إلى اليابان عام ١٩٠٩م وأقام ستة شهور، قابل فيها رجالات اليابان من الوزراء إلى الفلاحين، وأسلم على يديه نخبة من المفكرين والصحفيين والضباط الشباب، كما زار الصين وكوريا والهند والحجاز، وألف كتاباً من ألف صفحة باللغة العثمانية.

وعبدالرشيد، رحالة وداعية وسياسي وأديب وعالم وقال عن كتابه المرحوم عبدالوهاب عزام: إنه أهم من كتاب ابن بطوطة.

كما زار اليابان محمد بركة الله من الهند وهو أول من علم الأوردية في جامعة اللغات الأجنبية في طوكيو، وأصدر لثلاث سنوات مجلة «الأخوة الإسلامية» ما بين ١٩١٠-١٩١٢م، وأسلم على يديه عدد من اليابانيين.

ولقد زاد اهتمام اليابان بالعالم الإسلامي لأغراض متعددة توسعية، اقتصادية، ثقافية، كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وشكلت الجمعيات وألفت الكتب الإسلامية والاستشراقية.

وبدأ المهاجرون من المسلمين التتار يفدون إلى اليابان فراراً من الحكم الشيوعي في روسيا، واستقر أكثرهم في طوكيو وناغويا وكوبي. كما أدى ثاني مسلم ياباني فريضة الحج وهو نور أبي تاناكا الذي أسلم في الصين، كما أسلم في الصين عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم، وزار عمر ياما أوكا مصر وذهب إلى الأزهر عام ١٩٢٤م.

وفي عام ١٩٧٣م، أرسل الملك فيصل بن عبدالعزيز – رحمه الله – الدكتور السامرائي للدعوة الإسلامية في اليابان ومعه ستة آخرون وهم «خالد كيبا – ياباني، وأسعد قربان علي ابن مؤسس مسجد طوكيو، عبدالحي قربان علي وعبدالباسط السباعي – مصر، وعلي الزعبي – سوري، وعبدالرحمن صديق – باكستاني، وموسى محمد عمر – سوداني»، وهم ممن درسوا في جامعات اليابان، ولهم سابقة بالعمل الإسلامي فيها.

أسس هذا الفريق أول مركز إسلامي متكامل في اليابان بالتعاون مع آخرين يابانيين ومقيمين من أمثال عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم لليابانية، وعبدالكريم سايتو، ومصطفى كومورا، وتميم دار محيط عبدالمنير، واطانابا وعمر دراز خان، وعلي حسن السمني، ومطلوب علي، وعينان صفا.

ولقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز خلال الحديث معه عن العمل الإسلامي تشكيل المركز الإسلامي لم يبدأ بالآحاد والعشرات، بل بالمئات من اليابانيين ودخلوا في الإسلام أفواجاً، وقام المركز بإصدار أعداد كبيرة من الكتب والكتيبات عن الإسلام باللغة اليابانية، وأصدر مجلة السلام باللغة اليابانية وغطى البلاد من أقصى الشمال، وفتح الفروع في مدن عدة،

وأرسل الطلبة إلى المملكة العربية السعودية ومصر للدراسات الإسلامية، وأسس أول مجلس للتنسيق بين الجمعيات الإسلامية وعددها حينذاك اثنتا عشرة جمعية تضم التجمعات الإسلامية اليابانية في عدة مدن والجاليات الإندونيسية وجمعية الطلبة المسلمين وذلك في عام ١٩٧٦م.

ولقد سألته عن عدد المسلمين في اليابان فأجاب: كنا نعد المسلمين اليابانيين قبل هذه الفترة ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف، صرنا نعد المسلمين فيها بعشرات الآلاف، وانتشر الوعي الإسلامي لدى الشعب الياباني فبعد أن كان الدين الإسلامي يدعى «كاي كيو» أصبح يدعى «أسرام» لعدم وجود حرف اللام باللغة اليابانية ويستبدلون به الراء.

وسألته عن أول ندوة عن الشريعة الإسلامية فقال: أول ندوة عن الشريعة الإسلامية أقامها المركز بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي وجامعة شو «CHUO» وكان محركها الأستاذ خالد كيبا وحضرها عم الإمبراطور الحالي واستمرت لثلاثة أيام، وكان من نتيجة هذه الندوة عمل دراسات مستمرة حتى يومنا هذا عن الشريعة الإسلامية في اليابان.

وعقدت ندوات ثقافية حضرها الآلاف في طوكيو والمدن الأخرى برعاية كبريات الصحف اليابانية التي تصدر الملايين لكل صحيفة بالتعاون بين المركز الإسلامي وجامعة الملك سعود.

وسألت الدكتور صالح عن توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية، فقال: «إن المركز الإسلامي منذ تأسيسه قبل أكثر من عشرين سنة حرص على توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية، ويكاد المركز الإسلامي يكون هو المؤسسة

الوحيدة في اليابان التي تزود بالكتاب الإسلامي جميع الهيئات والجمعيات الإسلامية في اليابان والمؤسسات والأفراد داخل اليابان وخارجه.

ولقد أصدر المركز حتى الآن أكثر من أربعين كتاباً وكتيباً باللغة اليابانية أعيد طبع معظمها مرات عديدة، ولدى المركز الآن كتب بعضها معد للترجمة، وبعضها الآخر نفدت نسخه ويحتاج لإعادة طباعة.

«إننا نرجو من إخواننا المسلمين في كل مكان المساهمة في دعم هذا العمل الخيري وهو علم ينتفع به وصدقة جارية، والله يجزي الجميع عن الإسلام خير الجزاء».

ثم سألته عن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم فقال: «إن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم يقوم بها مسلم وهو المرحوم عمر ميتا نشرت في هذه الفترة وخصص لها الملك فيصل رحمه الله مبلغاً محترماً أودع بسفارة المملكة العربية السعودية يصرف منه على طبع الترجمة كلما نفدت نسخها».

وفي عام ١٩٨٠م، تبرع الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله بأرض من أجل إقامة مقر شامخ للمركز الإسلامي، وقام الأميران الكريمان نايف بن عبدالعزيز وأحمد بن عبدالعزيز بتشييد البناء، وبذلك أصبح المركز الإسلامي معلماً إسلامياً يقصده الأساتذة والطلبة والصحافيون والتلفزيون وعامة الناس، منهم من يعلن إسلامه، ومنهم من يستعلم عن الإسلام، ولا يزال هذا المقر يؤدي دوره بتطور وتحسن مستمر.

وانتهت زيارتنا لهذا المركز الإسلامي، ونحمد الله، فها هو الإسلام في اليابان في أفضل حالاته حيث تتابعت الجهود الخيرة الواعية التي وجدت

رعاية واهتماماً بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم وترسيخ التعاون بينهم، وارتفعت اليوم منارات شاهقة وصروح باسقة للإسلام في طوكيو وخارجها.

ورأينا مساجد تعمر، وأفراداً يدخلون في دين الله، وها هي المساجد والجوامع والمعهد العربي الإسلامي كل ذلك يساعد بدفع موكب الدعوة وعجلة التعريف بالإسلام وحضارته التي رأيناها مزدهرة ومنتشرة بين مختلف الطبقات وأن مستقبل الدعوة سيكون مشرقاً في هذه البلاد بإذن الله.

ثم اصطحبنا الإخوة لزيارة جامع طوكيو، ووصلنا بعد صلاة الظهر وأدينا الصلاة في هذا الجامع الرحب الفسيح، وهو واسع وذو باحات متسعة وفرش نظيف.

وقد رحب بنا المشرف على الجامع ثم استأذن لوجود طائفة من الزوار ممن جاؤوا للتعرف على الإسلام وممن جاء يعلن إسلامه.

وفي جانب آخر كان إجراء عقد زواج، ثم غادرنا الجامع وزرنا مشروع مقر المدرسة الإسلامية حيث يجمعون التبرعات لبنائها، نسأل الله أن يكون في عونهم لأهمية وجود مدرسة تعلم أبناء المسلمين ويشع نورها بتعاليم الإسلام، فالتعليم الإسلامي أساس المحافظة على هوية أبناء الأمة الإسلامية وهي محاضن لتربية الأجيال الصاعدة من أبنائها ونظراً للغلاء الرهيب في اليابان فقد اشترى المسلمون هذه القطعة الصغيرة من الأرض بأكثر من ثلاثة ملايين دولار.

ثم اخترقنا شوارع العاصمة وكان الجو ممطراً والزحام شديداً حيث عدنا للفندق في انتظار أن يحين موعد الذهاب للمعهد فهذا اليوم هو آخر أيام الندوة الثقافية.

مشاعر متعاطفة مع الإسلام:

ولقد سمعنا الكثير من الروايات عن الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، ومن ذلك أنه في كل عام يقوم ممثلو الأديان المختلفة بالاجتماع سنوياً في جامعة «Showa Joshi Daigaku» يحضره المواطنون في المحافظة يتقدمهم المحافظ، وأن المنظمين للاجتماع يضعون المسلمين في أغلب السنين في أول البرنامج، رغم أنه أقل الأديان أتباعاً.

وفي هذا العام وضعوهم في أول القائمة، على المسرح وقد أذن الشيخ نعمة الله وصلى الدكتور صالح السامرائي بالمسلمين ركعتي نفل، وقرأ آيات من القرآن الكريم، ووقف الشيخ نعمة الله ورددت معه جموع المواطنين اليابانيين الذين حضروا الاحتفال «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكانت بأيدي الجميع ورقة مكتوب عليها باليابانية لفظ الأذان وشرحه، ولفظ الشهادة وشرحها، والصلاة وكل حركاتها وألفاظها ومعانيها باليابانية إنها إحدى وسائل التعريف والدعوة.

ويقولون: إن المنظم الرئيسي هو رئيس لفرقة بوذية كبرى، قال: إنه ذهب إلى إندونيسيا وكانت من قبل غير مسلمة والآن أهلها مسلمون، ولأول مرة عُرِفَ أن عدد المسلمين في العالم يزيد على عدد النصارى وعدد البوذيين، وهذا يظهر أيضاً احترام الشعب الياباني للإسلام، هذه حقائق يذكرها الإخوة وفقهم الله في نشر الدعوة الإسلامية في هذه البلاد.

***

لمحة عن التاريخ الثقافي الياباني

من صفات الشعب الياباني حب العمل والابتكار، قبل أن أسافر إلى اليابان حرصت على زيارة السفارة اليابانية في الرياض والتقيت بالملحق الثقافي السيد/ عبدالله مانهام، وهو رجل على جانب من اللطف والخلق الكريم، وقد زودني بمجموعة من النشرات الثقافية والتاريخية، فقرأت أكثر من كتاب، وتكونت في خيالي عدة صور ونظرة شاملة للتاريخ الثقافي لليابان.

يدرك المرء أن هذه البلاد أخرجت خلال تاريخها الطويل ثقافة وطنية جيدة تعهدوها من داخل أنفسهم ومن القارة الآسيوية ومن الغرب وفقاً لأذواقهم، وأدمجوها كعناصر جوهرية للثقافة مع تنوع متزايد في التطور الثقافي والالتقاء مع العالم الخارجي.

ويحتاج المرء إلى وقت ودراسة لفهم الثقافة اليابانية والمركز الذي تحتله في التدفق المستمر لتاريخ الثقافة العالمي. لقد كنت حريصاً في رحلاتي على التعرف على خصائص تلك البلاد وما تمتاز به من مظاهر العمران وما تختص به من ضروب المعارف والآداب وبدائع الفنون.

إن الإحساس بالجمال الذي يتسم به اليابانيون دليل وعي على الذوق الرفيع وحب الطبيعة مع البساطة الأنيقة، ويتجلى ذلك فيما يشاهده المرء في المعارض والمحلات التجارية والمراكز الثقافية، ولقد حدثني أحد الأساتذة اليابانيين قائلاً: عندما خرجت اليابان من عزلتها فإنها كانت في مجال التكنولوجيا وراء الغرب بمسافة بعيدة، وكان الاتصال بالغرب، وكان لا بد

من تبني سياسة تطوير تتضمن جهوداً لإدخال التكنولوجيا، وكان إدخال التكنولوجيا يستلزم تنظيماً اجتماعياً ووعياً قادراً على استيعابها، ولذا فنحن نفخر بأعلى معدل في العالم لعدد الملتحقين بالمدارس والجامعات، وأن السمة التي ميزت الثقافة اليابانية هي القدرة على التكيف والعدد، كما أوجد التزاوج الذي تم بين الأجناس المختلفة التي استوطنت اليابان المزيد من القوة والمنجزات العلمية. ولكم شد انتباهي في اليابان المواءمة بين التكنولوجيا والتراث! فهو شعب محافظ على التراث رغم ما بلغه من تقدم علمي.

وقلت له: في كتب الجغرافيا كنا نقرأ أن اليابان تشتهر بأنها بلاد الشمس المشرقة والبراكين والزلازل. فقال: هذا صحيح، ولكنها اليوم أكثر من ذلك، فهي تشتهر بأشياء تقنية كثيرة.

وخلال جولاتي في الأسواق سألت عن اللؤلؤ فاليابان تستخرج اللؤلؤ من البحر، وعندهم لؤلؤ طبيعي وآخر صناعي وسعره مرتفع فهو غالي الثمن، فمستوى المعيشة هنا مرتفع. في شارع «جترا» شاهدنا المعارض والمحلات الأنيقة المتوهجة تمتلئ بالبضائع والمعروضات بشكل أنيق وجذاب، ورأيت ثقتهم وإخلاصهم في العمل، كما أن وجوههم دائماً مبتسمة، وهذا عنوان الأدب كما أنهم يتحدثون بصوت غير مرتفع.

وبالجملة فهم شعب قد تعلم وتقدم ونشأ على حب العمل والابتكار وتطوير أدائهم في عملهم، والاستفادة من وقت الفراغ وتحويله إلى نوع نافع من الأعمال العملاقة ومع العمل علاقة حب وولاء وليس منفعة فقط.

وقد أفاد مرافقونا من الشباب السعودي الذين يتلقون العلم في الجامعات

اليابانية أن الكثير من الشباب يحاول استثمار وقت فراغه في محاولة التعرف على أسرار صناعات جديدة يمكن استثمارها بشكل مختلف، وتعلم مهن أخرى إلى جانب العمل الذي يجيدونه لاعتقادهم أنهم يمكن أن يكونوا أكثر إنتاجية من خلاله، كما يحرص البعض على الأبحاث العلمية المتخصصة التي يمكن أن تساعدهم على أداء العمل بشكل أفضل؛ لأنها تشكل عائداً مالياً لهم من خلال بيع الاختراع لشركاتهم.

وخلاصة القول: إن الشباب الياباني يمتلك قدرة عجيبة على التمسك بالعمل والصبر على المشاق، وتطوير العمل الذي يقوم به، وولاؤه المطلق للمؤسسة التي يعمل بها.

***

جولة في المناطق السياحية

في صباح يوم مشرق جميل بدأنا بصحبة بعض الإخوة المرافقين لنا من شبابنا السعودي الذي يدرس في اليابان لزيارة برج طوكيو الشهير، وهو برج مرتفع يشبه برج إيفل في باريس، ولكنه أعلى وأجمل. وقد أفاد المرشد إلى أنه استخدم في بنائه حوالي ٥٠٠ طن من الصلب والحديد، وفيه معارض ومتاحف، ويقال: إنه أعلى برج في العالم، ولا غرو فاليابان دولة صناعية قادرة على تقليد كل شيء وتترجمه إلى ما هو حسن ورائع.

وبعد جولة في البرج خرجنا منه وكان ممتلئاً بالزوار، ثم أخذنا نتجول في شوارع طوكيو ذات الحيوية والحركة ليلاً ونهاراً، وبعد جولة في ربوع العاصمة خرجت إلى بعض مناطق السياحة حيث تكثر في اليابان الينابيع الحارة ذات المياه المعدنية التي تتدفق مياهها نحو سطح الأرض، ويقصدها السياح للترويح عن النفس، والمرضى للتداوي.

ومن أشهر تلك الينابيع «ينبوع إيكاو» القائم في القرية التي سمي باسمها، وتقع على سفح تل قرب العاصمة طوكيو، وقد أقيم فيها عدة فنادق مدت إليها مياه ذلك الينبوع بأنابيب من الخيزران وزعت على جميع حماماتهم المزودة بأحواض يستقي منها النزلاء بعد ملئها بالماء الساخن، وبعد إضافة شيء من الماء البارد إليه؛ لأن درجة حرارة تلك المياه مرتفعة.

وبالإضافة إلى جبل «فوجي» الذي يعتبر أهم معلم سياحي، ومن المناطق التي تشتهر بجمالها الطبيعي وبغابات أشجار الصنوبر الشريط الساحلي الواقع

شمال مدينة «كيوتو»، وهناك مجموعة جزر «ماتسوشيما»، وتوجد بحيرات رائعة الجمال تكتنفها الغابات من كل جانب وتقع على ارتفاع ١٢٦٩ متراً عن سطح البحر، حيث يتدفق منها شلال «كيجون»، وتعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق جذباً للسياح ولا سيما في فصل الصيف، وهناك يشاهد المرء الريف الجميل والبيوت من الخشب لكثرة الزلازل والبراكين التي تحدث في اليابان وتؤدي إلى هدم البيوت وإحراق المزارع والأشجار والمباني.

وتعتبر اليابان أغنى دولة بالغابات في العالم إذ تغطي حوالي ٦٨٪ من مساحتها العامة، ويستفيدون من أخشابها في سد حاجة الصناعات المختلفة، كما شاهدت على سفوح الجبال الأعشاب والأزهار الرائعة.

ويقول المرافقون: إنها أسهمت في تنمية ذوق الشعب الياباني وجعله في طليعة الشعوب عناية بزراعة الأزهار وتنسيقها.

ولقد سألت عن عدم وجود الحيوانات البرية رغم الطبيعة الجبلية والغابات فقيل لي: إن البراكين التي ثارت ولا يزال بعضها ثائراً قضت على الحيوانات البرية بحممها المحرقة وبرمادها المدمر، ومما يلاحظ توفر الكهرباء وذلك لغناها بالأنهار ذات الغزارة الدائمة والانحدار الشديد، وفي شوارع المدن المختلفة يلاحظ المرء مكاتب الشركات الصناعية الضخمة التي لفتت أنظار العالم إليها مثل شركات «ميتسوبيشي» و«تويوتا» و«سوزوكي» و«ميتسوي» و«سوميتومو» وغيرها، بالإضافة إلى مئات المصانع الصغيرة المقامة في البيوت والقرى.

ولقد أقيمت حول المصانع بيوت للسكن ومطاعم ونواد وحدائق ومدارس وعيادات أطباء ومصحات.

وأهم صناعات اليابان تتركز في أربع مدن كبرى موجودة في وسط جزيرة «هونشو» وهي طوكيو، ويوكوهاما، وناغويا، ويوكوسوكا، كما شاهدنا ناقلات النفط العملاقة في أرصفة بناء السفن، وفي عدد من المناطق قامت صناعات القاطرات والسكك الحديدية التي يبلغ طولها أكثر من ٤٠ ألف كيلو متر حيث تؤمن النقل الرخيص للأشخاص والبضائع والألمونيوم والنحاس.

وكما تتركز صناعة الأجهزة الكهربائية والإلكترونية ولاسيما «المذياع والتلفاز والحاسوب وأجهزة الهاتف والغسالات والبرادات وغيرها» في مدن طوكيو، ويوكوهاما، وكيوتو، وكوبي. كما تشتهر بصناعة الطائرات وقطع غيارها في مدينتي طوكيو وكوبي. وهناك مدن أخرى تشتهر بصناعة الأدوية والمنسوجات المختلفة مثل مدينة «أوساكا وكوبي».

وإلى جانب ذلك ورغم قلة مساحة الأرض فهم يعملون على توسيع رقعة الأرض الزراعية عن طريق زيادة المدرجات الجبلية وتحويلها إلى أرض زراعية، ورغم ظروفها المختلفة فقد ظلت في طليعة الدول التي يحقق ميزانها التجاري الربح الدائم.

***

في نادي سباق الخيل في طوكيو

خلال وجودنا في طوكيو كان اللقاء بالأستاذ/ راشد الزنيدي مدير عام نادي الفروسية بالرياض الذي حضر للمشاركة في سباق واحة الصحراء على كأس سمو ولي العهد لعام ١٤٢٢هـ، وقد حرصنا على الحضور والمشاركة بهذه المناسبة.

ولاحظت عشق اليابانيين واهتمامهم بهذه الرياضة، حيث أقيم سباق واحة الصحراء على كأس صاحب السمو الملكي الأمير/ عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد على ميدان سباق الخيل في طوكيو باليابان للعام الثالث على التوالي لمسافة ١٦٠٠م لخيل أربع سنوات فأكثر، وشارك في هذا السباق خمسة عشر جواداً.

وحضر السباق ما ينوف عن ١٢٠.٠٠٠ (مئة وعشرين ألف) شخص، كما نقل السباق حياً على الهواء من قبل التلفزيون الياباني، وقدر عدد المشاهدين بما لا يقل عن عشرين مليون مشاهد، وأشادت وسائل الإعلام اليابانية من تلفزيون وراديو وصحافة وإنترنت بهذا السباق، وبالكأس المقدم من سموه الكريم الذي يحظى بتقدير واهتمام عشاق هذه الرياضة.

ونوه مدير عام نادي الفروسية بالرياض الأستاذ/ راشد بن عبدالمحسن الزنيدي إلى أن رعاية سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود لرياضة الفروسية العربية الأصيلة ليس في المملكة العربية السعودية موطنها ومنشؤها فحسب وإنما في أماكن شتى للدلالة على علاقته بهذه الرياضة العربية، الذي أصبح يعشقها بمختلف فئاتها إلى حد كبير.

وكانت مراسم السباق قد بدأت عند الساعة الثانية عشرة ظهراً برفع العلمين السعودي والياباني وعزف النشيدين الوطنيين بحضور كبار الشخصيات من دبلوماسيين ورسميين وإعلاميين، ورئيس جمعية الصداقة العربية اليابانية، ورئيس جمعية الصداقة السعودية اليابانية، ورئيس نادي الفروسية في اليابان، والقائمين على إدارة النادي. وكان حفلاً وسباقاً جميلاً حظي بالاهتمام من جانب اليابانيين.

مهرجان طوكيو:

يقام في طوكيو عدد كبير من التجمعات الفنية الشبابية كل عام ولكن أكبرها هو «ديزاين فيستا»، وهو مهرجان تصميم يجري مرتين في السنة على أرض معرض «طوكيو بيغ سابت» الضخم.

نظام المهرجان قائم على تأجير المساحات المقسمة إلى «دكاكين» صغيرة لمن يشاء وضع أعماله سواء للبيع أو العرض فقط، وإضافة إلى كونه فرصة لتلاقي الفنانين الشباب، فإن له أهمية خاصة حيث يزوره ذوو الشأن في معظم شركات التصميم اليابانية بأنواعها المختلفة من منتجي الإعلانات وأفلام الرسوم المتحركة إلى دور تصميم أزياء وغيرها، وذلك بحثاً عن مواهب جديدة لاجتذابها بعروض وظيفية أحياناً، أو لمجرد الاطلاع على آخر ما يدور في مخيلات شباب الجيل الصاعد.

ويتبارى طلاب المعاهد الفنية الشهيرة كمعهد بويوغي للرسوم المتحركة وغيره بعرض إبداعاتهم عن الشخصيات الخرافية التي قد يتم تبني بعضها من

قبل أحد المنتجين الزوار، وفي تلك الحال، فإن ما يبدأ على شكل محارب فضائي مصنوع من لي بضعة أسلاك معدنية ملونة قد يصبح بضاعة تجلب الملايين من الدولارات واسماً يعرفه الأطفال في الملايين من المنازل حول العالم.

***

اليابانيون يتعلمون اللغة العربية

اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، ويحرص المسلمون في أنحاء العالم على تعلمها ودراساتها والنطق بها، وخلال زيارة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ومشاهدة الطلبة اليابانيين وحرصهم على تعلم العربية يدرك المرء جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بصفة خاصة في نشر اللغة العربية ومدى اهتمام اليابانيين باللغة العربية، كما أن هناك جهوداً ومؤلفات لبعض المستعربين اليابانيين.

وهناك تعاون بين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في المعهد العربي الإسلامي بطوكيو وبين الجامعات والجمعيات اليابانية المعنية بالدراسات الإسلامية والعربية والشرق أوسطية، ولا شك أن إرسال الأساتذة السعوديين إلى مراكز الدراسات العربية والإسلامية وأقسامها في الجامعات اليابانية للتدريس وعقد اللقاءات العلمية والقيام بالأبحاث المشتركة سيكون له أثر كبير إلى جانب تنشيط قسم الترجمة بالمعهد بحيث يقوم بالترجمة التبادلية بين العربية واليابانية فينقل إلى اللغة العربية أهم الإصدارات اليابانية، ويترجم إلى اليابانية الكثير من الكتب العربية المهمة.

ويجب تطوير مركز المعلومات بالمعهد حتى يكون له دور حيوي فاعل مع إصدار دورية علمية باللغتين العربية واليابانية لتكون معبرة عن نشاطات المعهد ولتنقل صورة واضحة عن التقدم العلمي في المملكة العربية السعودية لليابانيين، ولتنقل للعرب مستجدات العلم في اليابان.

كل ذلك سوف يسهم في خدمة التعاون بين البلدين، ونشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث المسلمين الثقافي، ومن هذا المنطلق ينبغي مضاعفة الجهود والاهتمام بنشر اللغة العربية في أرجاء العالم، وبحث السبل والطرائق التي من شأنها ذلك خاصة وقد أخذت اللغة العربية اليوم تتقدم بخطى واثقة لتستعيد مكانتها في بعض المحافل الدولية.

***

مشاهد من الحياة في اليابان

خلال جولاتي في اليابان سجلت بعض اللمحات العابرة لبعض جوانب الحياة ومظاهرها التي شاهدتها أثناء المرور السريع والحديث العابر، وهي لمحات موجزة عن تلك الرحلة وما تركته من أثر في النفس مما مررت به في تلك البلاد، والتي تتكون من أربعة آلاف جزيرة.

- في مدن اليابان وقراها أعدت دور خاصة لتناول الشاي الأخضر فيها بالإضافة إلى وجبات طعام مختلفة، والشاي الأخضر هو المشروب المفضل، ويتم تناوله بارداً وساخناً، وتقدم بعض الحلوى زاهية الألوان لتعويض الطعام المر للشاي.
- فن تنسيق الزهور في اليابان ناحية مهمة وهناك أساليب عديدة لتنسيق الزهور تكمن وراء كل منها فلسفة مختلفة، ولها أساليب غاية في البساطة والاتقان، وهناك ما يزيد عن ٣٠٠٠ مدرسة للاهتمام بهذا الجانب.
- تبدأ السنة الدراسية في اليابان في شهر أبريل، وتمتد إجازة الصيف لعدة أسابيع، وتنتهي السنة الدراسية في شهر مارس. وتبدأ الدراسة من الساعة الثامنة، والنصف صباحاً حتى الرابعة والنصف مساء خلال أيام الأسبوع، ويذهب الطلبة بعد ذلك لممارسة الرياضة وغيرها من الأنشطة خارج نطاق المنهج المدرسي، وتتناوب مجموعات الطلبة في كل فصل لتنظيف الفصول والممرات والحمامات وفناء المدرسة وغيرها من الأماكن.

- يدرس الطلبة اللغة الإنجليزية في السنة الأولى من الدراسة الإعدادية بالطبع اللغة اليابانية هي جزء شديد الأهمية في دراستهم وكتابة اللغة اليابانية تحتاج لوقت طويل وتتطلب تدريباً متواصلاً.
- عناصر الطعام الطازجة تعد أمراً شديد الأهمية في الطعام الياباني التقليدي، ورغم أن الأرز هو الغذاء الأساسي فإن السمك أيضاً مصدر مهم للغذاء وأحد الأطباق المفضلة.
- اليابان من أكبر الدول المستوردة للمنتجات الزراعية في العالم حيث لا يزرع من أرض اليابان سوى ١٣٪ فقط.
- الحياة في اليابان غالية ومرتفعة، وقيمة المتر من الأرض في طوكيو وخاصة في منطقة «جترا» تصل إلى مليون دولار! وقد علق أحد الزملاء قائلاً: لقد بدا لي وأنا أقضم تفاحة في اليابان أنني أجتر قطعة من سبيكة ذهب، وحينما أبدأ في أكل قطعة شمام فقد أتخيل أني أقص ورقة من فئة المائة دولار إلى شرائح .. تلك نماذج باختصار من قصة الغلاء في طوكيو. وقد روى أحد المرافقين لنا أن هناك نوعين من البقر يبلغ ثمن الكيلو غرام من لحمه ٤٠٠ دولار، وأما السكن فهو يقص الظهر والجيب.
- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو مفخرة سعودية حيث يقع في منطقة راقية في العاصمة يعتبر بحق قلعة علمية خصبة من قلاع العرب الإسلامية، ومن حيث الموقع والمساحة وروعة التصميم وجودة التنفيذ، فقد استطاعت الجامعة التغلب على المصاعب والتحديات لتأسيس هذا

المعهد في ظروف اليابان الصعبة حيث الغلاء الملتهب، إنه إنجاز بكل المقاييس.

- يحافظ اليابانيون على ثقافتهم وتقاليدهم بشكل كبير، وعندهم حرص لافت للنظر على الاحتفاظ بالموروث والاهتمام به.
- لوحظ إقبال الشباب على الالتحاق بالمعهد العربي الإسلامي، وقد وفق المعهد في جذب أعداد من الشباب، وأبدى كثير منهم عناية واهتماماً بالدين الإسلامي واللغة العربية، ويطلب الكثير منهم محاضرات عن الإسلام وحضارته وهذه هي المحصلة الطبيعية والمرجوة بإذن الله تعالى، مما جعل المعهد يكثف نشاطه ويمد جسوره مع الشرائح اليابانية المتنوعة الأكاديمية والاجتماعية.
- «الجو» لعبة من ألعاب الذكاء وصلت لليابان من الصين، ويميل الناس إلى اعتبارها لعبة تراثية قديمة.
- مدينة «أوساكا» هي أكبر مدينة في غرب اليابان، وقد ساهم موقعها في تحولها إلى مركز اليابان التجاري، وتزخر بالحركة والنشاط والصناعة، وبها شركات متعددة تملك كلها تقنيات على مستوى عالمي.
- يقال: إن الناس هنا في اليابان يسيرون أسرع من أي فرد في العالم! وقد سألت عن السبب، فقيل لي: إنهم يعتبرون الوقت من ذهب كما أن هذه الرغبة الدائمة في سرعة الحركة هي جزء من ثقافة هذه البلاد التي تكونت عبر القرون.
- النوم مبكراً، الأكل سريعاً؛ شعار يحترمه الجميع، يشرحونه لنا قائلين: إذا نمت مبكراً اقتصدت في تكاليف الإضاءة والتدفئة، وإذا أكلت

بسرعة وفرت وقتاً كبيراً للعمل. وهنا قلت: لهم حقاً إن الوقت من ذهب.

- سواحل اليابان كثيرة التعرج زاخرة بالرؤوس والخلجان، وأينما كنت فإن البحر قريب منك.
- على الرغم من صغر مساحة اليابان، فإن حوالي ٢٢٥ بركاناً تتوزع في مختلف مناطقها، منها ١٦٥ بركاناً بين هادئ وخامد، وما تبقى وقدره ٦٠ بركاناً كلها ثائرة، وأهم براكين اليابان على الإطلاق بركان «فوجي» الذي يقع في القسم الشرقي من أواسط جزيرة «هونشوم» على بعد ٩٠ كم إلى الجنوب الغربي من العاصمة طوكيو.
- يوجد في اليابان عدة أنهار من أشهرها نهر «تيسو»، كما تضم أرض اليابان عدداً من البحيرات التي ترقد وادعة بين أحضان الجبال المكسوة بالغابات مما يضفي عليها جمالاً ومشهداً أخاذاً، كما تكثر ينابيع المياه الحارة والمعدنية التي تتدفق مياهها نحو سطح الأرض ويقصدها الكثيرون للتداوي والترويح عن النفس.
- الإسلام الآن في اليابان هو أفضل حالاً، مساجد تعمر، وأفراد يدخلون في دين الله تعالى لا يدخلونه أفواجاً لكن مجموعة منهم ولو قليلة بدأت تسمع وتقرأ عن الإسلام، وهناك المعهد العربي الإسلامي والمراكز الإسلامية تساهم بدفع عجلة الدعوة والتعريف بالإسلام وحضارته.
- يعتمد جزء كبير من القوة الاقتصادية لليابان على التصنيع، والسيارات واحدة من أشهر المنتجات، ففي عام ١٩٩٨م أنتجت اليابان أكثر من

١١ مليون سيارة ونصف السيارات المنتجة يتم تصديرها.

- جميع أنواع المواصلات موجودة في اليابان من الدراجة حتى أسرع قطار على وجه الأرض بشكل منتظم، والسكك الحديدية هي وسيلة للنقل عالية الكفاءة.
- ترتبط جزر اليابان الأربع الرئيسية ببعضها بحراً وجواً وبراً من خلال جسور وأنفاق.
- من خلال استعراض بعض الكتب يلاحظ أن هناك نهضة أدبية حديثة شديدة النشاط، فالأدب الياباني المعاصر لقي اهتماماً دولياً، وحصل مجموعة من أدبائه على جائزة نوبل للآداب.
- قرأت أن هناك عدداً لا حصر له من المهرجانات التي تعقد على مر العام مثل مهرجان الثلوج له جاذبية خاصة حيث يذهب إليه آلاف الزوار، فهناك أشياء تاريخية كثيرة، وهناك صالات تعرض فيها.
- بالرغم من أن اليابان بلد صغير من حيث مساحة الأرض، فإنها تضم ثامن أعلى عدد للسكان في العالم إذ يبلغ سكانها حوالي ١٣٠ مليون نسمة مما يجعلها من أعلى دول العالم كثافة بالسكان.
- طوكيو هي العاصمة منذ عام ١٩٦٨م ولعلها كما رأيت أكبر عواصم العالم من حيث المساحة والكثافة السكانية وهي نقطة جذب دولية للأنشطة التجارية وتتميز بتراثها الثقافي المتعدد.
- إن أولى خطوات المسلمين في اليابان كانت بدايتها عام ١٨٩٠م حينما رست سفينة تركية على الشواطئ اليابانية، وفي عام ١٨٩١م أسلم أول

رجل ياباني، وفي عام ١٩٠٩م وصل مكة المكرمة أول حاج ياباني، وفي عام ١٩٢١م استقرت أول جالية إسلامية في اليابان، وتم بناء أول مسجد ياباني في عام ١٩٣٥م.

- اليابان تستعد لإحداث نقلة نوعية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي.
- بروفيسور ياباني يتوقع من خلال دراساته واستقراءاته انتشار الإسلام باليابان في زمن قياسي.

لقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز الإسلامي في طوكيو أن بروفيسوراً يابانياً بوذياً وضع كتاباً ذكر فيه أن الإسلام إذا استقر في اليابان، فسيضم الإسلام اليابان كلها في زمن قياسي مثل ما حدث في إندونيسيا وماليزيا، وذكر أن كل مسلم هو داعية.

وألف البروفيسور ساندا «رئيس معهد القانون المقارن في اليابان وعميد كلية القانون في جامعة شو أو من كبريات الجامعات في اليابان» كتاباً يؤكد فيه تفوق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية.

لقد كتب الكثيرون عن اليابان وسر نهضتها وتقدمها بالفعل.

فإن ما يحدث في اليابان ليس معجزة لكنه عمل ودأب وإفادة من المعوقات الذاتية والإنتاج العالمي، كما أن قوة العمل اليابانية لا تعتمد على وفرة المواد الأولية ولكنها روح الجماعة ومحبة العمل حيث إن العمل عند الياباني نسيج واحد لا تستطيع أن تعرف متى ينتهي أحدهما ويبدأ بالآخر.

رئيس وزراء اليابان يقف أمام البرلمان في بلاده ليطالب اليابان بالتواضع، وهي التي ترشحها المحافل الدولية لتصبح أكبر مانح للمعونات الاقتصادية في العالم.

وإن مصدر القوى هو العمالة الكبيرة العدد، المحبة للعمل والإبداع في الوسائل، والإدارة الذكية. إنها روح الجماعة الكامنة في الشعب الياباني، والمحبة للعمل ليست مجرد كلمة، ففي التطبيق يشاهد المرء أشياء كثيرة.

ولقد تحدث إلينا بعض الإخوة الدارسين في الجامعات اليابانية قائلين: إن مديري أكثر المصانع في اليابان يوفرون للعاملين دروساً في تنسيق الأزهار وحفلات تناول الشاي والرياضات المختلفة، ومعظم المصانع تنظر للعاملين نظرة أبوية مفعمة بالعطف، فإذا غضب أحد العمال سارع الجميع إلى إرضائه وإسعاده.

لقد أنجزت التربية اليابانية الزهد في الترف، والنظرة التي تدمج طواعية محبة العمل بالحياة وروح الجماعة الكامنة المستقرة في الأفراد التي تدفعهم للتعاطف، والأبوة داخل وحدات العمل، ولا شك أن غرس هذه المفاهيم وتأكيدها هو من عمل التربية.

مدينة يوكوهاما:

على بعد قريب من العاصمة طوكيو تقع «يوكوهاما» التي تعاني من عقد الجوار، كما يقول مرافقنا فهي ملاصقة للعاصمة، مما يفقدها استقلالها وهويتها الخاصة في نظرهم، فيوكوهاما المتناثرة تقع في تنظيم راق بين الغابات الخضراء وأبراج الشركات العالمية، على إحدى جزر الأرخبيل الياباني، تعد سبباً في انفتاح اليابان على العالم.

«ويوكوهاما» حالياً تحوز على النصيب الأكبر من التعاملات التجارية مع منطقة الشرق الأوسط حيث تصدر المدينة ما قيمته ٣٥ مليار دولار في العام،

وتستورد ما يقارب ذلك سنوياً، ويقع بها أهم ميناء تجاري في اليابان، وأكثر موانئ العالم جمالاً وتنظيماً، كما يوجد بها برج «حديقة السماء» وهو أعلى مبنى في اليابان، وإستاد «نيسان» الذي جرت على بساطه الأخضر فعاليات المباراة النهائية العالمية، وتستضيف يوكوهاما أكبر جالية عربية في اليابان، معظم أفرادها من المملكة العربية السعودية، حيث يعملون خبراء في مجال النفط وصيانة المصافي وطلاب في الجامعات اليابانية.

فنظام التعليم قد شهد إصلاحات واسعة بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م أتاحت إعادة توجيه المناهج والمقررات الدراسية، ولعل من أهم ملامح وخصائص نظام التعليم الياباني اللامركزية في التعليم .. وروح الجماعة، والنظام والمسؤولية.

الجد والاجتهاد أهم من الموهبة والذكاء، الحماسة الشديدة من الطلاب وأولياء الأمور للتعليم وارتفاع المكانة المرموقة للمعلم.

واليابان تتميز بأشياء كثيرة: الشاي الأخضر، والأكل السريع، كما أن لدول العالم وزارة دفاع خاصة بها فإن اليابان لا توجد لديها وزارة للدفاع. والحروف اليابانية تختلف عن حروف اللغة العربية أو اللاتينية، إذ تبلغ اثنين وخمسين حرفاً مضافاً إليها الرسوم التي يبلغ عددها ألفاً وثمان مائة رسمة.

كما أنهم يكتبون من أعلى إلى أسفل ويقودون سياراتهم على اليسار بمقاود على اليمين. اليابانيون لا يأكلون الخبز بمختلف أشكاله بل يأكلون الأرز المسلوق في الوجبات الثلاث، كما أنهم يتناولون الأسماك والأحياء البحرية نيئة، وهناك عادات وأشياء كثيرة تسترعي الانتباه.

ولقد برزت اليابان وحققت المعجزة كما سمعتهم يقولون ذلك، وكما لاحظت أن اليابانيين قليلو الكلام.

لقد تحقق لليابان التقدم الصناعي بفضل البحث العلمي والترجمة والجودة ولقد أنشؤوا في عام ١٩٦٣م مدينة علمية من أجل الارتقاء بالصناعات اليابانية وبها آلاف العلماء من الباحثين في شتى المجالات، أما الاهتمام بالترجمة فقد أنشؤوا مؤسسات خاصة للترجمة، لترجمة كل ما يصدر في دور النشر العالمية من كتب وأبحاث ودراسات ومقالات ومواد علمية متنوعة، كما ركزوا على الجودة بمفهومها ومعناها ونشر الوعي بأهمية ذلك.

يفتخر الياباني أن كل شيء في بلده قد صنعه هو، البيت، المطعم، الفندق، المصنع، الشارع، السيارة، الطائرة، القطار، الهاتف، ويعيش أكثر من ٧٩٪ من السكان في الصناعة و٢٧٪ في الزراعة، والباقون في صيد الأسماك والتجارة، وموظفين في الدولة والمؤسسات الخاصة.

***

العلاقات العربية اليابانية من خلال الرحلات المتبادلة

خلال ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية التي عقدت في رحاب المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ألقيت هذا البحث خلال الجلسة العلمية الثانية، وقد رأس الجلسة السيد أمين توكوماس يوم الثلاثاء الموافق ١٤/ ٢/ ١٤٢٢هـ قائلاً:

أيها الإخوة الفضلاء والسادة الأجلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أحييكم أطيب تحية متمنياً لهذا الملتقى النجاح، وللقائمين على تنظيمه والإعداد له التوفيق والسداد، وأن يحقق الأهداف المرجوة.

أيها الإخوة:

إن الإسلام أكبر نعمة أنعم الله بها على الأمة، واستحضار هذه الحقيقة في كل عمل مخلص هو قمة الوعي بها، وهذا الملتقى يأتي تسجيلاً لتاريخ مضيء مجيد، فالأمة الإسلامية كانت على الدوام أمة حوار، وكان دينها الإسلامي وحضارتها المختلفة نموذجاً للدعوة وللتعارف بين الشعوب، وللحوار والتفاهم وتبادل الرأي، وقد أعطت ذلك مكانة مرموقة في ثقافتها وفكرها وسلوكها.

ولقد حرصت المملكة العربية السعودية على مؤازرة ومساندة العمل الإسلامي وتقديم الدعم السخي من أجل خير المسلمين وصالح الإسلام، حيث جعلت الإسلام نبراساً لها في كل أعمالها، وما هذا الملتقى إلا خطوة

على هذا الطريق، وإن العلاقات السعودية اليابانية مسيرة تعاون لآفاق واعدة، والثقافة عامل تفاهم وتكامل بينهما.

ويطيب لي بل يسعدني أن أشارك اليوم في هذه الندوة المباركة، لألقي الضوء على الرحلات التي قام بها اليابانيون والعرب، وذلك بغية التعرف على جوانب من العلاقات من خلال الرحلات التي قاموا بها، وتسجيل انطباعاتهم ومشاهداتهم خلال رحلاتهم وتنقلاتهم.

ونسأل الله التوفيق لهذا الملتقى ليحقق أهدافه النبيلة في نشر نور الله، والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ليعم الخير والسلام أرجاء المعمورة، وزرع الإيمان النقي الخالص في قلوب المسلمين جميعاً في أنحاء الدنيا، ولكي يظل الدين فيها كله لله.

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لمرضاته، ويسدد الخطى وينفع بهذا الملتقى الذي يحمل رسالة الخير والحق والمحبة والتعاون والسلام.

أيها الإخوة .. لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً، وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، وما زالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب، كما أن للرحلات أهميتها في اكتساب الخبرات واقتباس المعارف في شتى المجالات، ولقد فطر الإنسان على حب الاستطلاع واكتشاف كل جديد.

والرحلات مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وفيها قدوة للمقتدي، وهي مصدر لا يمكن إغفاله أو تجاهله بالرغم مما يقال عن هذا المصدر أنه يرتبط في الغالب بالآراء والانطباعات الشخصية.

ويحرص كثير من الناس على الاهتمام بأدب الرحلات حيث إن الرحالة دائماً ينقل للقارئ صوراً وقصصاً وطرائف ومعلومات ومشاهدات لكل ما شاهد وسمع ورأى، وما أكثر ما حفل به التراث العربي الإسلامي من أخبار الرحلات والرحالة! كرحلة ابن فضلان إلى إسكندنافيا التي عُدت أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة ومجتمع «الفايكنج». فهي وثيقة فريدة تصف بدقة أحداثاً وقعت منذ ما يزيد على ألف سنة.

ولقد وصفت تلك الرحلة بأنها المصدر الوحيد لتاريخ روسيا وبلغاريا وتركيا في تلك الفترة من القرن العاشر الميلادي، ورحلة أبي دلف، ورحلة ابن جبير، ورحلة العبدري، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن خلدون، ورحلة العياشي، والسيرافي، والمسعودي، وغيرهم كثير مما يضيق المجال عن استعراضه، فكم فيها من الصور والمشاهدات! والتي أصبحت تاريخاً ومعرفة وفائدة للباحثين والدارسين، بل وثائق تمثل نشاط أسلافنا وطموحاتهم وارتيادهم للمجهول، ومعرفة العالم وطلب العلم والمعرفة ورواية الأخبار من أفواه الرجال.

وكما تفيد كتب التاريخ والحديث بالروايات والأخبار والقصص عن المحدثين الذين قاموا برحلات بصدد جمع الأحاديث وتدوينها، وكذلك كان الرحالة يذهبون ويرتحلون من أجل التجارة والالتقاء بالعلماء والأدباء والمؤرخين والأطباء، ووصف طريق الحج والمشاعر المقدسة والحرمين، وما بهما من آثار ومعالم وعلماء ومخطوطات وأماكن ومساجد ومكتبات، وما أعظم ما كتبه الرحالة ابن بطوطة في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

لقد كانت الجزيرة العربية تتميز بخصوصية دينية وتاريخية واقتصادية كونها مهد رسالة الإسلام وخاصة الحرمين الشريفين، وأحد مواطن الحضارة القديمة وملتقى الطرق التجارية ومركز اتصال مع الحضارات المعاصرة.

ولقد حفل التراث العربي بالأقوال والأشعار والحكم والأمثال حول السفر والرحلات، وإن أدب الرحلات حينما يتصدى له العلماء والمفكرون فإنه يظل خصباً ومفيداً وذا عطاء علمي غزير بحيث يبرز فيه الجانب التصويري والسياق الأدبي والتحقيق التاريخي والبحث الاجتماعي مع تطعيمه بمأثور الشعر والحكم مما تقضيه المناسبة.

ويروى عن الإمام الشافعي قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تَفَرُّج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

ولقد أوصت أعرابية ابنها في سفر، فقالت: يا بني، إنك تجاور الغرباء، وترحل عن الأصدقاء، ولعلك لا تلقى غير الأعداء، فخالط الناس بجميل البشر، واتق الله في العلانية والسر.

ويقول أحد الشعراء في الأسفار:

سفر الفتى لمناطق وديار ... وتجول في سائر الأمصار

علم ومعرفة وفهم واسع ... وتجارب ورواية الأخبار

ويقول المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»:

ما تم لي جمع «هذا» الكتاب إلا بعد جولاتي في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي الثقاة، ودرسي على

الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث، ومخالطة الزهاد، وحضور مجالس القصاص والمذكرين، مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حررتها، وتنقلي على الأجناد حتى عرفتها، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها، وتدبري في الكور «يقصد المحافظات والولايات» حتى فصلتها، وبحثي عن الأخرجة «يقصد الضرائب» حتى أصبتها، مع ذوق الهوان، وشد العناء.

ولقد أمد الكثير من الرحالة الثقافة الإنسانية بثروة فكرية وتاريخية وجغرافية، وجمعوا قدراً كبيراً من المعلومات، وكتبوا الرحلات التي قاموا بها، الرحلات كما يقال شيء ثابت لا يأكله الدهر ويظل لها طابعها، فرحلة ابن جبير، وابن بطوطة، وابن فضلان زادها الدهر خلوداً ورونقاً وإعجاباً، وترجمت إلى لغات شتى؛ لأن النفس بطبيعتها تواقة إلى المعرفة واستطلاع ما كان عليه قديماً، وكيف كانت حياته وتقاليده، فالرحلات من أهم مصادر دراسة التاريخ وتتحول إلى وثائق علمية وذكريات لها خصائصها وسماتها.

ولقد قال الرحالة ابن جبير الذي تعب كثيراً من رحلاته:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

رحم الله أسلافنا من الرحالة الذين كانوا ينشرون العلم والدين والمعارف والآداب والفضائل خلال رحلاتهم، وما زالت آثارهم باقية خالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وكم نحن في حاجة في هذا الزمان إلى إعادة قراءة كنوز

تراثنا الفكري والتاريخي والتأمل والنظر فيه والإفادة منه.

ومجمع القول: إن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول، والوصول إلى الغاية، ومعرفة الحقيقة، والاستمتاع بالتاريخ والآثار، والطبيعة. ولقد شغف الكثير بأدب الرحلات؛ لأنه أدب ممتع وشهي، وقد فطر الله الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة، وحب المعرفة والاستطلاع، والتعرف على هذه الدنيا ومظاهر الحياة فيها، وما تزخر به من جبال ووهاد وبحار وإنسان ونبات وآثار وحيوان .. إلخ.

فسلك فجاج الأرض ومفاوز الصحراء، وركب متن البحار، وتعرض لوحشة الأجواء والمحيطات وما تنطوي عليه من المخاطر والمتاعب، وما يواجهه من لفحات الهجير وشدة البرد والثلج والزمهرير، تردد الكثيرون على الأسفار، وعشقوا الرحلات ولم يبالوا بالأهوال والأخطار، بل عشقوا حب المغامرة، إذ هي وسيلة إلى المعرفة والبحث، والمتعة والفائدة، خاصة ونحن في عصر الرحلات والمغامرات العلمية في الأرض والفضاء.

ولقد عني أسلافنا بالرحلات واهتموا بشأنها، فسافروا من بلد إلى بلد لحضور مجالس العلم والأدب أو توثيق الأخبار والأحاديث، ووصفوا الطرق والمعالم والناس، وجابوا الأقطار والأمصار، وتنقلوا بين المنازل والمسالك والديار، ووصفوا الطرق وأحوال الأمم، فتركوا آثاراً خالدة في التاريخ والأدب والجغرافيا الوصفية، فوصفوا ما شاهدوه، ودونوا ما رأوه بكل دقة وحصافة، فأصبحت آثارهم معالم يهتدى بها حيث دونوا ثقافات الأمم وحضاراتها وعلومها وآدابها، وسجلوا مرئياتهم وتحليلاتهم، فأسهموا بذلك

في خدمة العلم والفكر وتنوير الأذهان، وكما قال الحريري:

نقل ركابك عن ربع ظلمت به إلى الجناب الذي يهوي به المطر

وهكذا سيظل أدب الرحلات رافداً من روافد المعرفة والثقافة والأدب والتاريخ والجغرافيا بحيث يحلق في أجواء مختلفة وخواطر متفرقة لا تقف عند الانسجام والمتعة فحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى الأسوة والقدوة، وإلى العظة والعبرة وإلى ما يترك أثراً خالداً يعود بالفائدة والأسوة الحسنة، ولقد قيل:

سِحْ في البلاد إذا أردت تعلما إن السياحة في البلاد تفيد

ويقول أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

أدب الرحلات فن متميز:

ويتساءل كثير من الباحثين عن أدب الرحلات ودوره في تاريخ الأدب العالمي، والواقع أن أدب الرحلات استأثر بالاهتمام، وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ماضياً وحاضراً وقديماً وحديثاً، حيث تحدثوا فيه عن مشاهداتهم والأماكن التي مروا بها وزيارة المعالم والآثار والمكتبات، وما تحويه من كتب ومخطوطات ووصفها، وكذا زيارة المواضع والأماكن التاريخية، وما زال هناك عشرات المخطوطات من المؤلفات عن الرحلات لطائفة كبيرة من العلماء العرب والأجانب لم تنشر بعد، ومن المهم ضرورة ترجمة ودراسة رحلات الأجانب التي قاموا بها إلى المشرق الإسلامي عامة، والجزيرة العربية خاصة من أجل معرفة أهدافها وتبين رؤية أصحابها عن هذه البلاد.

وينبغي ألا نهمل أدب الرحلات، فهو فن متميز، ومعلم بارز، وأثر حيوي من معالم الثقافة والمعرفة يتطلب ذوقاً وحساً، فهو بحق كحديقة غناء تشتمل على ثمار يانعة ولا تخلو من الأشواك.

فالقارئ يطل منه على أنماط مختلفة وصور من صور الحياة وأشكالها المتباينة، ويرى ويشاهد من خلالها عوالم واسعة يستقرئ واقعها ويتعرف على بيئاتها وحياتها، وإذا كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقاً وأسلوباً مضنياً، فإنها اليوم بفضل التطور الحضاري والتقنية الحديثة صارت عملاً مريحاً، فكم من رحالة أمدنا بمعلومات تاريخية وجغرافية! تتخللها إشارات ومعلومات عن الحياة وعادات الناس، وعن المدن والجزر والقرى والجبال والأودية، ومختلف الظواهر مما يمتع النظر، ويثير الشجون بما يعرض للرحالة من أحداث وعبر وركوب الخطر، وما أعظم أن نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾[1].

لقد غامر كثير من الرحالة للتعرف على الظواهر الطبيعية ووصولاً إلى مناطق الجليد في شمال أوروبا وألاسكا وجبال روكي ومنحدرات جبال الألب وبحر الشمال، وبعض المناطق في أمريكا الشمالية وروسيا وألمانيا والجبال العالية في الهملايا، وفي اليابان وأفريقيا وجبال كينيا وجبال الإنديز ونيوزيلندا، وفي الصين والهند، وفي القارة القطبية الجنوبية، ووصفوا لنا اتساع الجليد وضخامته، وهي معلومة لها أهميتها وفائدتها.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢١.

فالرحلات كما يقال منجم مفيد ومنهل ثري نافع للآخرين من شتى النواحي، والمهم أن نستفيد من تلك الرحلات وتسجيلها والكتابة عنها.

ولقد قيل: «قيدوا العلم بالكتابة»، ورحم الله أسلافنا الذين تحملوا المشاق والصعوبات، وجابوا الأمصار وسلكوا فجاج الأرض، وامتطوا متن الخطر وصعوبة المسالك والطرق من أمثال ابن جبير وابن بطوطة والسيرافي والهمداني والبكري والأصمعي وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان الذي يحوي مشاهدات ميدانية، والمسعودي ورحلاته حيث أحاط بالكثير من العلوم والثقافات وطاف أكثر البلدان، وقد فقد الكثير من مؤلفاته ولم يبق له إلا كتابان هما «مروج الذهب» «والتنبيه والإشراف»، حيث تضمنا جانباً من رحلاته التي تعد مصدراً من مصادر معارفه الجغرافية، ولقد استمتعت أجيال كثيرة بتلك الرحلات.

ولقد فطر الإنسان على حب الاستطلاع واكتشاف كل جديد ومجهول، وقد دفعه هذا الحب إلى السفر والارتحال من بلاد إلى بلاد.

كما لا ننسى مجموعة من المستشرقين ممن عنوا بالتنقيب والسياحة والتاريخ ودراسة الآثار في المشرق العربي، وقاموا برحلات في أنحاء مختلفة من البلاد العربية، وجمعوا قدراً كبيراً من المعلومات ودرسوها دراسة علمية، ونشروا تلك الدراسات، وكتبوا الرحلات التي قاموا بها، وهي تحوي آراء ومعلومات عن العالم على جانب كبير من الأهمية.

إن أدب الرحلات حينما يتصدى له العلماء والمؤرخون والمفكرون فإنه يظل خصباً ومفيداً وذا عطاء علمي غزير، بحيث يبرز فيه الجانب التصويري والسياق الأدبي والتحقيق التاريخي والاجتماعي، وإنها لمناسبة لدعوة دارسي

الأدب إلى دراسة هذا الأدب والاهتمام به والتأكيد على ضرورة الدقة في تصنيفه، وفق مضامينه وأدواته ليتميز عن كتب التراجم والتاريخ والبلدان والجغرافيا.

جوانب من الرحلات اليابانية إلى الجزيرة العربية:

وانطلاقاً من ذلك سوف نستعرض جوانب من الرحلات اليابانية إلى الجزيرة العربية ورحلات بعض العرب إلى اليابان.

نظراً؛ لأن شبه الجزيرة العربية تمثل منذ القدم نقطة جذب واهتمام لكثير من الشعوب انجذب إليها الباحثون والمهتمون لما تميزت به من خصوصية وأهمية، فهي إحدى مناطق الحضارات القديمة، وملتقى الطرق التجارية، ونقطة اتصال مهمة من الحضارات الأخرى بالإضافة إلى ما برز في هذه المنطقة من أحداث سياسية كان لها أثر عظيم على شعوبها وصدى خارجي قوي لدى الدول الأخرى، فاستقطبت اهتمام العالم الخارجي الذي بدأ يتطلع إلى سماع المزيد من أخبارها.

وكان من أبرز العوامل التي دعت الرحالة إلى القيام برحلاتهم إلى شبه الجزيرة العربية وجود المدينتين المقدستين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والتنافس على الخليج العربي وقيام الدولة السعودية وامتدادها، ثم قيام الملك عبدالعزيز بتأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة.

إن هذه العوامل وما رافقها من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية كانت مصدر جذب للرحالة والمبعوثين قاصدي الدراسة، أو تقديم التقارير عن أحوال المنطقة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي عدت فيما بعد

مصدراً مهماً لتاريخ شبه الجزيرة العربية تعتمد عليها البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية والاجتماعية.

وأستعرض فيما يلي نماذج من الرحلات:

رحلة ياباني في مكة «تاكشي سوزوكي»:

ترجمة وتعليق أ.د/ سمير عبدالحميد إبراهيم، وسارة تاكاهاشي.

وقد صدرت بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، في عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، وقامت بنشرها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ودارة الملك عبدالعزيز.

وتعد الرحلات من أوسع أبواب المعرفة، وتعد هذه الرحلة «ياباني في مكة» أو الحج إلى مكة المكرمة نموذجاً للنمط الأدبي المعروف «بأدب الرحلات» وهو رافد من روافد الثقافة والمعرفة من الأدب، يستفيد منه كُتّاب السير، وعلماء الجغرافيا، وعلماء الاجتماع، والتربية، وعلماء اللغة وغيرهم إفادة كبيرة.

وهذه الرحلة تضم بين ثناياها جميع أقسام الرحلات، المعروفة لدى الباحثين في أدب الرحلة، فهي قبل كل شيء رحلة دينية، ورحلة أدبية، وفن من فنون القول الأدبي.

اعتمد فيها المؤلف، بالإضافة إلى المشاهدات العينية، على ما سمعه من أخبار، وعلى مطالعة الرحلات السابقة التي كتبها غيره.

ولقد بدأ المؤلف رحلته بمقدمة عن الإسلام ومبادئه، ثم بمقدمة أخرى عن الإسلام ومبادئه، ثم بمقدمة أخرى عن الرحلة ذاتها، والظروف التي دفعته إلى

القيام بها، وركز على الأمور الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية، ووصف الطرق والعمران، والمرافق والظواهر المناخية، ووجه عناية خاصة للأمور الاجتماعية، فتحدث عن البشر، وفئات المجتمع وطبقاته، ووضع الرجال والنساء في المجتمع، وغير ذلك، ولم تخل رحلته من ذكر رجال الدولة والعلماء وعلى رأسهم مؤسس المملكة العربية الحديثة الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – وقد أفرد فصلاً كاملاً عنه.

وتأتي هذه الأمور كلها داخل الإطار الأساسي وهو الحج ومناسك الحج. وقد كان أول من قدم للحج من اليابانيين هو عمر ميتسو ياماوكا من مدينة هيروشيما الذي وصل إلى مكة المكرمة في ديسمبر ١٩٠٩م، ومنها سافر إلى المدينة المنورة، ثم سطر ذكرياته في كتاب بعنوان: «رحلة عبر الجزيرة العربية» طبعت عام ١٩١٢م، ثم جاء من بعده الأستاذ تناكا المسمى بالحاج نور تناكا، فسار للحج في عام ١٩٢٤م، وسجل وقائع رحلته في كتاب بعنوان: «الحج في الإسلام» في حوالي ٣٢٠ صفحة، والرحلة تعبر عن وجهة نظره الإسلامية وتوضح كيف صار مسلماً.

وقد أشار في رحلته إلى سبب تسمية الرحلة السحاب الأبيض الطافي على صفحة الأفق، فقال: إنه رأى في منامه أنه يقف على أعلى قمة مرتفعات «باميل» (جبال هندوكش) في وسط آسيا، ولم يستطع أن يحقق هذا الحلم، ثم كان تفسير حلمه، قدومه إلى عرفات، وشاهد الحجيج في ملابس إحرامهم البيضاء، وكأنهم سحاب أبيض يطفون على صفحة الأفق.

وقد عمل الحاج نور تناكا محاضراً في معهد الثقافات الشرقية « Daito

Bunka Gakkuin»، وكان يأمل في تقوية العلاقات بين اليابان والعرب من ناحية، وبين العرب وآسيا من ناحية أخرى، وتشكيل وحدة واحدة من هذه الدول تحت مظلة «الفكر الإسلامي»، وكان زعيماً يعمل على تحقيق هذه الفكرة، كما كان زعيماً لمسلمي اليابان آنذاك.

وقد رأى أن تحقيق هذه الفكرة يبدأ بتقوية العلاقات بين اليابان وجزيرة العرب، التي وحد أجزاءها الملك عبدالعزيز – رحمه الله – ومن هنا وضع الرجل أمله في الملك عبدالعزيز، ونصح الحاج نور تناكا مسلمي اليابان بضرورة بذل الجهود لدعم العلاقات بين اليابان والمملكة العربية السعودية.

ومؤلف هذه الرحلة «ياباني في مكة» أديب مسلم صاغ عباراته بأسلوب أدبي سهل، واستعان بالصور الأدبية لتسهم في نقل المشاهد والمواقف ورصد الحوادث بما يتخللها من إثارة وحوار.

ولما كان المؤلف يابانياً مسلماً، فلا عجب أن يدمج في سياق تعبيراته آياتٍ من الذكر الحكيم، أو تعبيرات جرت على ألسنة المسلمين، وإذا ما استلزم الحال ذلك، وكم من مرة غلبت عليه المشاعر الفياضة! ففاضت على أسلوبه، فجاءت لغته رقيقة المستوى، عظيمة التأثير والإمتاع، والحقيقة أن الكاتب جعل لرحلته قيمة أدبية، بما عرضه فيها من أساليب، ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني.

الملك عبدالعزيز في الرحلة:

رسم المؤلف في كتابه هذا صورة للملك عبدالعزيز الذي شاهده عن قرب والتقى به، وقد خصه الملك دون غيره من الحجاج باللقاء أطول وقت ممكن بل أوقفه بجانبه، طوال مدة مصافحته لوفود العالم الإسلامي التي قدمت للسلام على جلالته في الحج، فرسم المؤلف للملك عبدالعزيز صورة دقيقة الملامح، جميلة القسمات، خطها بأصدق الكلمات، وأوضح العبارات، دون رياء أو مجاملات.

فكاتبنا مسلم قطع آلاف الأميال، ووصل من أقصى الأرض، يسعى لأداء فريضة الحج، حاملاً بداخله عاطفة إسلامية جياشة، يفكر في أحوال إخوانه المسلمين مهما اختلفت جنسياتهم، ويراقب تصرفات أعداء الدين، مهما تنوعت أساليبهم، فرأى أمامه ملكاً قوي البنيان، في قلبه حنان الأب، وفي عينيه بريق الأمل، وعلى وجهه ارتسمت صورة كفاح السنين، ذلك الكفاح الذي شكل شخصية الملك عبدالعزيز ليصير قائداً للعرب وللمسلمين.

تأثر الحاج محمد صالح «سوزوكي تاكيشي» بعد أن شاهد الملك عبدالعزيز فوصفه في كتابه بأنه «رجل لا يقهر»، وبأن «النصر يواكبه حيث مضى، وأن النصر حليفه على جميع أعدائه»، وغلبت المشاعر على الكاتب، وهو يصافح الملك عبدالعزيز، فانهمرت الدموع من عينيه، رغماً عنه، وتأثر الملك الإنسان وشعر بما يموج بداخل هذا المسلم الياباني من عواطف صادقة، فأمسك بيده، وأوقفه بجانبه، وهو يصافح بقية وفود العالم الإسلامي، وكأن الملك عبدالعزيز أراد بهذا أن يزيد هذا الياباني المسلم شرفاً على شرف، وأدرك الياباني المسلم

بفراسته ما قصد إليه الملك العظيم، فسطر ذلك على صفحات رحلته.

كتب عن حياة الملك عبدالعزيز الأولى، وعن كفاحه حتى استرد ملك آبائه، وتمكن من توحيد أجزاء البلاد، وتأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة، وتحدث عن المؤتمر الديني، وعن المنتجات اليابانية، ومما سمعه من وفود البلدان الإسلامية نحو تطوير التجارة مع بلاده اليابان.

إن هذه الرحلة تعطي فكرة عن شخصية الياباني المسلم وعن عاطفته الدينية ومحبته للأماكن المقدسة، وتقديره للملك عبدالعزيز وقد تجلت قدرة المؤلف على توظيف ثقافته وأسلوبه في صياغة المواقف والمشاهد صياغة لا تبتعد عن الواقع بقدر ما تمنحه الصدق وقيمة الأسلوب الأدبي الجمالية، وهي جديرة بالاهتمام لأدبيتها من ناحية ووثائقيتها من ناحية أخرى.

- **ونستعرض رحلة أخرى وهي:**

الرحلة اليابانية، لصاحبها علي أحمد الجرجاوي:

اهتم بنشرها وقدم لها أ.د. سمير عبدالحميد إبراهيم.

تاريخ الطباعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، وتقع في «١٩٤» صفحة.

يمكن تصنيف كتاب: «الرحلة اليابانية» لصاحبها الصحافي: علي أحمد الجرجاوي صاحب جريدة الإرشاد القاهرية ضمن أدب الرحلات، الذي يحتل – بلا شك – مكانة عالية بين فنون الأدب العربية، وكما قال الدكتور: طه حسين حول كتب الرحلات تجد فيها المتعة والراحة والسلوى وإرضاء حاجتك إلى الاستطلاع مع أنك لا تبرح مكانك، فأنت مع الكاتب تشهد ما يشهد، وتسمع ما يسمع، وتجد ما يجد، تسافر معه وتقيم معه حيث يقيم .. إلخ.

وهكذا احتل أدب الرحلة في جميع آداب لغات العالم مكانة عالية، وهو لون أدبي ذو خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية الأخرى.

واعتمد المؤلف على سرد تفاصيل بعينها لتحقيق هدفه، كما أورد إحصاءات ووثائق.

والرحلة اليابانية مكتوبة بلغة نثرية سهلة سلسلة بسيطة، وكاتبها يمزج بين أسلوب الخطابة والأسلوب القصصي الروائي، وقد ضمن كتبه بعض الأشعار تأكيداً لكلامه، وحلية لأسلوبه لجأ إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فأدمجها في سياق كلامه للحاجة إليها أو تعليقاً على مواقف بعينها.

وتتمثل عناصر الرحلة النثرية بدقة في كتاب «الرحلة اليابانية» الذي يتضمن مقدمة يتضح منها العنصر الديني، ثم الظروف التي قام الرحالة فيها برحلته، ودفعته إلى هذا وذاك، والمنهج الذي سلكه في تدوين الرحلة، ثم بدأت الرحلة أو قوام الرحلة، وتداخلت فيها أمور عدة منها ما يتصل بالرحلة ذاتها ومنها ما يتصل بالأمور الأخرى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .. إلخ.

اهتم رحالتنا بالحديث عن رفاق السفر ووسائل الانتقال وأماكن السكن كما اهتم ببيان الأمور الاجتماعية، وطبائع البشر وأخلاقهم، وتحدث عن الأمور الاقتصادية والرقي الذي حققه اليابان.

ولا شك أن للرحلة هذه أهمية كبرى نظراً للفترة الزمنية التي مضى عليها «قرن تقريباً»، ونظراً للبلد الذي يتناوله المؤلف في كتابه – أي اليابان – الذي حقق إنجازات عملاقة لاقت إعجاب العالم كله، ونظراً للهدف الذي من أجله

ارتحل الجرجاوي وسافر من موطنه مصر إلى نهاية العالم في وقت كانت فيه وسائل السفر تختلف تماماً عما هي عليه الآن.

وهو يفخر بما قام به؛ لأنه يشعر بقيمته، ولأنه أدى واجباً دينياً عظيماً، فقد خرج من داره، حاملاً بداخله غيرة على الإسلام وأهله، ملبياً نداء واجب الدعوة الإسلامية، تاركاً عمله ووطنه وأهله، متحملاً نفقات سفره بنفسه، مفتخراً بأنه أول من قام بهذا العمل من بين أبناء وطنه قائلاً: «حسبي شرفاً أنها رحلة أول مصري وطأت قدمه تلك الأرض من قديم الزمان إلى الآن» (١٩٠٦م).

ويتضح مما تقدم أن الرحلة اليابانية للأديب والصحافي أحمد الجرجاوي كانت أول رحلة تنشر عن اليابان قبل أي رحلة أخرى في الآداب العربية، كما أنها أول رحلة تنشر عن اليابان بهدف الدعوة الإسلامية، فكاتبها هدفه الأول والأخير من رحلته الدعوة إلى الإسلام في بلاد اليابان.

- **كما يطيب لي أن أعرض لكم الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، والتي قام بتأليفها «أيجبروا تاكون» ترجمة: سارة تاكاهاشي.**

يقع هذا الكتاب في «١٨٩» صفحة، وقد صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

تأتي أهمية هذه الرحلة لما يتمتع فيه كاتبها من ثقافة إسلامية عربية تجعل رحلته هذه وثيقة مهمة، وقد لاحظت مترجمة الكتاب أن علاقة الكاتب بالإسلام وثيقة، وهي أعمق من أن تكون علاقة ثقافية فقط، وإن لم يعلن عن

هذا في كتابه صراحة، ويتضح هذا من طريقة تعبيره ومشاعره عند سماع الأذان، ورغبته القوية في القيام بأداء الصلاة، وحيث تحدث عن الآيات القرآنية التي وردت على خاطره وتفسيره الدقيق لمعناها، فكل هذا لا يصدر إلا عن رجل معجب بالإسلام.

وتأتي أهمية هذه الرحلة اليابانية من كونها تتناول فترة تاريخية، وتسجل وقائع زيارة البعثة اليابانية الرسمية إلى المملكة العربية السعودية ومقابلة جلالة الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – في عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

ويبدو أن من أهداف الرحلة إطلاع الملك عبدالعزيز على وجهة النظر اليابانية بشأن العلاقات المشتركة السياسية والاقتصادية، وعلى الرغم من أن طبيعة هذه الرحلة سياسية بحتة إلا أن مؤلفها كان صاحب تجربة في البلاد العربية ومطلعاً على الثقافة العربية، مما جعله يدون يوميات هذه الرحلة بأسلوب أدبي رائع زادها ألقاً وتميزاً وقدرة على التوظيف واختيار الأسلوب الملائم على تباين الموضوعات وتعددها.

- **كما أن هناك رحلة بعنوان: جولة في ربوع آسيا بين مصر واليابان من مشاهدات سائح مصري، وهو الأستاذ محمد ثابت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م وغير ذلك من الرحلات في ربوع آسيا واليابان مما لا يتسع المقام لذكرها.**

وبعد: لا يفوتني أن أشير إلى أن هناك مجموعة من الرحالة السعوديين والعرب أمثال الأساتذة حمد الجاسر، ومحمد العبودي، ومحمد عمر توفيق، ود. عبدالله مناع، وعبدالكريم الجهيمان، وعبدالعزيز الرفاعي، وأنيس منصور،

ومحمد مرداد وغيرهم قد مروا بهذه البلاد، ودونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم، ورسموا صوراً عن الحياة بما يمثل مادة علمية تساعد الباحثين في التعرف على جوانب كثيرة من الثقافات، ولم يفردوا كتباً خاصة برحلاتهم إلى اليابان.

وبعد: فإن الحديث عن هذه البلاد وحضارتها القديمة والحديثة وعلاقتها بالعرب والإسلام تحتاج إلى المزيد من الأبحاث التي تؤكد على عمق روابط الصداقة بين البلدين، وتعمل على دعمها وتقويتها وإلى أكثر من ندوة ووقفة، وهذه ليست إلا بداية وإضاءة.

إن الوقت الذي مُنحته قصير، والكلام الذي أريده كثير، لكني أوثر وقتكم الثمين، وأختم القول بالشكر لكم جميعاً مردداً قول الشاعر العربي:

إن الكـــــلام بأهلـــــه حســـــن

وان كـــــــــثيره ممقـــــــــوت

***

وبعد إلقاء هذا البحث كانت الأسئلة والمداخلات من الإخوة اليابانيين، وبعد الإجابة عن تساؤلاتهم قدمت لهم الشكر على طرح أسئلتهم وحضورهم وحسن ظنهم ومشاعرهم الطيبة نحو بلادنا.

وتحدث مدير المركز الإسلامي في اليابان عن العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي واليابان قائلاً: إنها قديمة ومستمرة، ويؤم اليابان سنوياً عدد من التجار، وكذلك السياح، ولهؤلاء دور في التعريف بالإسلام خلال زيارتهم لليابان وشرح لنا قائلاً:

إن مركزنا الإسلامي متخصص في الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية، ويزود

جميع الجمعيات الإسلامية في اليابان والطلاب والمتدربين والتجار وغيرهم بالمادة الإسلامية المقروءة، ويزود المتدربين حديثي القدوم إلى اليابان بالمعلومات اللازمة.

***

حوار مع مدير المركز الإسلامي في طوكيو

خلال زيارة للمركز الإسلامي طرحت على مدير المركز الإسلامي في طوكيو عدة أسئلة عن الشعب الياباني، فقال: إن الشعب الياباني تتمثل به الأخلاق العالية والصفات الكريمة، بل إني أقول: إن الياباني إذا تعرف على الإسلام يجده مطابقاً للمثل التي يعتنقها مجتمعه، فينال استحسانه، وإذا أراد الله له الهداية فإنه يعتنق هذا الدين الذي أعجب به.

يكتب لنا شخص على البريد الإلكتروني: إنه درس الإسلام، ويريد اعتناقه، هل عليه أن يتعلم الصلاة قبل النطق بالشهادتين أم يقول الشهادتين ثم يتعلم الصلاة؟ وهل الختان لازم؟ وإن كان كذلك فهو على استعداد لعمله بأي مستشفى مجاور لمكان تواجده.

والأخرى تكتب لنا رسالة أنها درست الإسلام استعداداً لتقديم بحث في جامعتها، فأعجبها الإسلام، وتريد أن تدعو طلبة جامعتها إلى الإسلام بطريقة علمية، وتقول:

إني أعرف أن تحريم الخنزير أمر له علاقة بالصحة، أليس هناك أشياء في الإسلام أثبتها العلم حتى أستطيع بها أن أدعو طلبة جامعتي للإسلام؟

أما محمد داود فقد زار القدس وغزة قبل سنتين، فأحب الإسلام، فرجع إلى كيوتو واتصل بالأخت الداعية زيبا، وتعلم منها الإسلام، فأسلم.

وعثمان طالب في السنة الثانية من الجامعة في مدينة كيوتو زار تركيا لأسبوع، فأحب الإسلام، ورجع وقرأ كتب المركز وأسلم، وفاطمة ناكاسوني

شابة تدرس في برد فورد في بريطانيا كانت مسيحية، وصادقت فتاة من أصل باكستاني فأسلمت، وهي تضع النقاب مع أنها في بريطانيا.

وأخرى كتبت من أمريكا تريد معاني القرآن الكريم باللغة اليابانية فأرسلنا لها ما تريد، وحينما سألناها عن الجالية الإسلامية في بريطانيا قالت: نحن مائة شخص وأنا المسلمة اليابانية الوحيدة، ونريد بناء مسجد، وذكرت لنا صفحة إلكترونية خاصة بها، فإذا هي أستاذة للموسيقى في إحدى الجامعات الأمريكية، وتعالج بالموسيقى.

أما فكتوريا الروسية فإنها كتبت لنا من داخل اليابان تريد بنكاً إسلامياً لإيداع نقودها تحاشياً للربا، فأعطيناها عنوان البنك الوطني الباكستاني، وتحدثت معنا بالتلفون من مدينة لا تبعد كثيراً عن طوكيو، وهي متزوجة من ياباني مسلم، وقلنا لها: بعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي نرى مسلمة روسية تحرص على أن تضع ما تملك في بنك غير ربوي، هذه معجزة الإسلام.

ومثل هذا يحدث يومياً لنا في المركز، وفي المعهد العربي الإسلامي، وفي مسجد طوكيو المركزي، ومسجد كوبي، ومع الجمعيات الإسلامية كلها.

وهكذا استرسل في الحديث معنا عن نماذج كثيرة ممن هداهم الله للإسلام، بارك الله في جهوده.

***

الصحافة في اليابان

خلال وجودي في اليابان سألت مرافقينا من الطلبة السعوديين عن الصحافة اليابانية المعاصرة وما هي أكبر صحيفة في طوكيو؟ فأفادوا بأن أكبر صحيفتين يابانيتين تحتلان المركز الأول والثاني في قائمة الصحف الأكبر مبيعاً في العالم، حيث يصل عدد النسخ الصباحية والمسائية من جريدة «يومبوري» أكثر من عشرة ملايين نسخة ثم تليها صحيفة «أساهي» بحيث توزع من نسخها أكثر من ثمانية ملايين نسخة يومياً، ولا شك أن هذه الأرقام مهمة وذات دلالات على الوعي والقراءة.

وقلت: إذاً كم عدد النسخ الموزعة والمباعة يومياً من الصحف اليومية في هذا البلد؟ فأفادوا أنها تتجاوز خمسين مليون موزعة على ١١٩ جريدة يومية، وتحقق إيرادات سنوية عالية، وتوظف أعداداً هائلة من الشباب يتجاوزون ستين ألف موظف في مختلف الأعمال الصحفية من إدارة وتحرير وإعلان وأمور فنية وإدارية أخرى.

سألت: وهل تقرؤون فيها شيئاً عن العالم العربي؟ فقالوا: هناك اهتمام بمنطقة الشرق الأوسط وقضايا الطاقة والبترول وغيرها.

وسألتهم: هل تقدم دراسات عن الإسلام والحضارة الإسلامية والثقافة العربية وغير ذلك؟ وهل لكم مشاركات في تحرير بعض المواضيع عن بلادكم والتعريف بها ونهضتها الحضارية وتقدمها العلمي؟ فقالوا: إنهم يتطلعون لتحقيق ذلك قريباً بإذن الله.

***

مفكر ياباني يشيد بالعلاقات اليابانية السعودية

خلال ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية تحدث الأستاذ فوكو داساتي أحد المفكرين اليابانيين قائلاً: تعد المملكة العربية السعودية دولة ذات ثقل كبير بين دول الشرق الأوسط مما يمنحها وضعاً خاصاً في علاقتها مع اليابان.

إن إجمالي أراضي المملكة تعادل أضعاف مساحة أراضي اليابان، أما تعدادها فقد تجاوز (٢٠) مليون نسمة، علاوة على أنها الدولة التي تنتج ٨ ملايين برميل زيت يومياً متصدرة جميع دول العالم في إنتاج البترول، إلى جانب أنها إحدى الدول الكبرى التي تصدر المنتجات البتروكيماوية، حيث توجد مجمعات تصنيع المنتجات البتروكيماوية العملاقة في الجبيل وينبع على سبيل المثال.

تكمن الأهمية العظمى للمملكة العربية السعودية في أنها رائدة الدول الإسلامية، حيث تقع فيها المشاعر المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، والتي تعد أهم مركز ديني بالنسبة لأكثر من مليار مسلم بجميع أنحاء العالم، فيتوجه كل عام ملايين المسلمين لزيارة الأماكن المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

الأمر الذي جعل من المملكة العربية السعودية رائدة لدول العالم الإسلامي لرعايتها الدائبة لمصالح الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم. وتعد المملكة العربية السعودية بوضعها الاقتصادي والقيادي دولة ذات أهمية خاصة

بالنسبة لليابان في مجال التبادل الاقتصادي والعلاقات الصديقة.

من المعروف أن اليابان تاريخياً قد أولت اهتماماً لعلاقتها مع دول الغرب مما ساعد على انتقال العديد من مظاهر الثقافة والحضارة إلى اليابان. أما من الناحية الجغرافية فنجد أنها تصل من الغرب بشبه الجزيرة الكورية ثم الصين ومنها إلى آسيا الوسطى ثم على أرض الشرق الأوسط، مما دفع اليابان إلى الاهتمام بثقافات الدول الآسيوية وكذلك الدول الإسلامية.

فقد قدم مندوب رسمي من المملكة عام ١٩٣٨م لحضور مراسم افتتاح أول مسجد في العاصمة اليابانية طوكيو، وأعقب ذلك زيارة البعثة اليابانية إلى الرياض عام ١٩٣٩م، وبعد الحرب العالمية الثانية تطورت العلاقات بين اليابان والمملكة مع تطور إنتاج البترول بالمملكة، حيث زادت أواصر التبادل الاقتصادي والتعاون الدبلوماسي بين البلدين من خلال حركة التبادل التجاري والاستثمارات، إلا أنه لم يلتفت كثيراً إلى العلاقات الثقافية الإسلامية، مما يوضح مدى حاجة اليابان الماسة لبذل مساع أكثر حتى يستوعب إدراكها الإسلام وأوجه الحضارة العربية الأخرى، فتتسع سبل العلاقة الحميمة بين كلا الشعبين في المقام الأول.

إن المملكة دولة ذات حضارة عريقة وثقافة عميقة، حيث يوجد بمدينة الرياض متحف تاريخي عظيم «مركز الملك عبدالعزيز التاريخي»، ومن يزور ذلك المتحف يدرك تماماً أن المملكة دولة عصرية، وتحافظ على أصول الحضارة في الوقت ذاته، كما يتضح ذلك في مهرجان الجنادرية الذي يقام كل عام من أجل إحياء الثقافة التقليدية. فمن لا يعرف أعماق تاريخ المملكة

وثقافتها لن يستطيع أن يدرك مدى تطور المملكة في الوقت الحاضر.

كما أن اللغة العربية تعد أحد الجوانب المهمة جداً، في هذا الصدد ليس فقط كأساس من ساحل المحيط الهندي إلى ساحل المحيط الأطلسي، إلى جانب أنها لغة القرآن، كتاب أكثر من مليار مسلم في جميع أنحاء العالم، وهي لغة ذات معنى خاص بالنسبة لهم، ولغة ضرورية لهؤلاء القائمين على الدراسات العربية والإسلامية.

***

من وحي الرحلة إلى اليابان

يـــا درة في جـــبين الكـــون ناصـــعة ... للعلـــم تســـعى وللتصـــنيع والـــنظم
رأيـــت فيمـــا رأت عـــيني معالمهـــا ... تختـــال فخـــراً بمـــا فيهـــا مـــن الهمـــم
وقفـــت بـــين قطـــارات وجامعـــة ... والكـــل مـــا بـــين مســـرور ومبتســـم
مشـــي ســـريع وعـــزم في ضـــمائرهم ... طـــول الحيـــاة بـــلا ضـــيق ولا نـــدم
وكلـــهم يرتجـــي مـــداً لأمـــتهم ... والكـــل يســـعى حثيثـــاً مســـرع القـــدم
إلى المصـــانع والأعمـــال هاجســـهم ... بكـــل جـــد وإخـــلاص بـــلا ســـأم
يممـــت وجهـــي شـــطر المعهـــد العربـــي ... مهـــوى الأحبـــة مـــن عـــرب ومـــن عجـــم
حيـــث التقينـــا بـــه والكـــل مبـــتهج ... بنـــدوة قـــد بـــدت للعـــين كـــالحلم
شـــعرت بالبهجـــة الكـــبرى تـــداعبني ... في ســـاحة الحفـــل نشـــدو أعـــذب الـــنغم
حفـــل بهـــيج حـــوى فكـــراً ومعرفـــة ... واســـمع حـــديث الثنـــا يشـــدو بكـــل فـــم
يـــا نـــدوة جمعـــت مـــن كـــل طائفـــة ... مـــن الريـــاض ومـــن طوكيـــو بـــلا ســـأم
فرفرفـــت رايـــة الإخـــلاص عاليـــة ... طـــول المـــدى تزدهـــي موصـــولة الهمـــم
هـــذا اللقـــاء بطوكيـــو عـــزة وســـنا ... يـــا ملتقـــى العلـــم والآمـــال والقـــيم
والحمـــد لله لا تنســـى مـــآثره ... برفقـــة كلـــهم بالنبـــل والشـــمم
تحيـــة لجميـــع الصـــحب مفعمـــة ... فيهـــا الوفـــاء وصـــدق الـــود والكلـــم

طوكيو / ١٢/ ٢/ ١٤٢٢هـ

في سيلان

حينما هبطت بنا الطائرة في مطار العاصمة ودخلنا منه إلى قاعة المطار قلت لمرافقي:

وجئت أشهد في سيلان نهضتها منـاظر بالشذا الفواح تنسكب

إن جزيرة سيلان عريقة في التاريخ، وقد ورد ذكرها عند المؤرخين العرب باسم «سرنديب»، وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته المشهورة وكان يطلق عليها جزيرة الياقوت.

وتقع جزيرة سيلان في المحيط الهندي، وتسمى الآن سريلانكا، ومساحتها ٦٦٠٠٠ كيلو مترٍ مربع، وعدد سكانها عشرون مليوناً، والمسلمون فيهم ٨٪ والبقية بوذيون ومسيحيون وهندوك. وتعرف بجوهرة المحيط، والمسلمون في سريلانكا يعود أصلهم إلى التجار العرب الذين جاؤوا إلى هذه الجزيرة في أوائل العهد الإسلامي.

وخلال زيارتي لهذه البلاد في ٥/ ٧/ ١٤٢٣هـ لاحظت وجود جالية عربية، وقد وصفها المؤرخون العرب بجنة المشرق، وتنعم بتراث ثقافي عريق وحضارة حافلة بالكنوز التاريخية وقد أهلها تاريخها الذي يعود لأكثر من ثلاثة آلاف سنة لتكون أكثر الوجهات تميزاً في العالم مما جعلها قبلة للسواح حيث تملك الشواطئ ذات الرمال البيضاء، وغاباتها الخضراء وجبالها، وآثارها التاريخية وتراثها الثقافي.

وقد وصفها المكتشف الشهير ماركو بولو خلال القرن الثاني عشر الميلادي بأنها أروع جزيرة في العالم.

ولعل الصراع الداخلي كان له أثر سلبي على السياحة، وأصابت النمو الاقتصادي بالركود، ولعل انتهاء الصراع عام ٢٠٠٩م زاد التدفق السياحي عليها. ويلاحظ المرء على جنبات شواطئها أشجار جوز الهند والغابات، فضلاً عن المعالم التاريخية والثقافية، إلى جانب التزلج على الماء والغوص والسباحة، كما توجد بحيرات تظللها أشجار النخيل.

وفي العاصمة «كولومبو» وهي عاصمة جميلة تتباهى بالجمع بين الطرق القديمة وصخب وضجيج المدينة الحديثة، ولقد انطلقت في رحابها وبدأت جولة على معالمها وآثارها وحضارتها البرتقالية التي تقع جميعها على مسافة قريبة بعضها من بعض. ويعود تاريخ العاصمة كولومبو إلى ما قبل ألفي عام حيث كانت منزلاً للتجار نظراً لمينائها الواسع وموقعها الإستراتيجي على طول طرق التجارة البحرية بين الشرق والغرب.

ولقد حصلت على الحكم الذاتي سنة ١٩٤٨م، وتعتبر منطقة دامبولا أفضل المعالم الرئيسية للعاصمة، فهي تضم مرافق متعددة وإستاداً رياضياً ومجمع معابد، كما تحتوي المدينة على أكبر سلسلة جبال كوارتز في جنوب آسيا وغابة الخشب الحديدي، وبها دار رعاية أيتام الفيلة الآسيوية في بلدة دامبولا وتعتبر الدار الوحيدة في العالم تؤوي الفيلة المشردة وما يصيبها من آفات وجزء من تمويلها من السياحة وتضم هذه المدينة «بيرويلا» والتي تبعد مسافة ٥٥ كيلو متراً من العاصمة منتجعاً على طول الحزام الساحلي. وتضم هذه المدينة أقدم آثار المسلمين الأوائل الذين دخلوا هذه الجزيرة أثناء اكتشافها من قبل التجار العرب في القرن الثامن الميلادي.

ويعد مسجد الأبرار معلماً بارزاً في المدينة، وأقدم مسجد بناه التجار العرب، وذهبنا لزيارة بعض البحيرات الخلابة والأسواق التقليدية والتعرف على مراكز الحرف والفنون ومراكز تصنيع الأحجار الكريمة ومراكز ركوب الفيل ومتحف الفيل، الذي كان مثيراً للإعجاب، وزيارة منطقة زراعة الشاي، وتتميز بالجمال والاتساع وبطقسها البارد ورأينا عملية إنتاج الشاي وعينات منه، ثم زيارة الحدائق النباتية.

وكنت أسأل دليل الرحلة السياحي عن الكثير من المعالم مما يتردد في ذهني وللأسف لا أجد لدى هؤلاء المرشدين الاطلاع الواسع والإجابة عما نسأل عنه، ويلاحظ المرء أفواج السائحين، وهم يغدون ويروحون في هذه المناطق ذات الخضرة المنسقة البديعة.

وقمنا بزيارة جزيرة «منار» أكثر المناطق التي كانت تربطها علاقات قوية بالعرب، وتعتبر أحد الأماكن القليلة التي تنمو بها أشجار الباوباث، وقد أحضرها التجار العرب من أفريقيا موطنها الأصلي لإطعام جمالها أثناء تمركزهم في هذه المنطقة، وينتشر المسلمون بكثافة في جزيرة «منار» حتى كانت ملاذاً آمناً لهم.

كما شاهدنا حدائق (التوابل) حيث شاهدنا أنواع التوابل والأعشاب المتنوعة، وكلها مناظر ومشاهد ذات أنواع شتى تثير الإعجاب. ويتم إنتاج الزيوت والتوابل داخل الحدائق، وكنا نستنشق روائح الأعشاب العطرية وأوراق الشجر والتوابل الزكية. والواقع أن هذه التوابل تنعكس على الطعام السريلانكي حيث تقدم مع الأرز واللحم والخضار.

إن المناظر الخلابة في هذه الجزيرة تستهوي السائح، ولذا نراها في ازدياد وخاصة في العاصمة، كما أن أسواقها عامرة بالأحجار الكريمة والأقمشة المطرزة والشاي والمصنوعات اليدوية والمنتجات الجلدية والتحف والمجوهرات والأواني الخزفية.

وبعد هذه الجولة في أنحائها ومعالمها وتذكر ما كتبه الرحالة ابن بطوطة عنها حيث سار في آفاقها وجبلها العالي الذي نزل عليه آدم عليه السلام، وكذا ابن بطوطة، وهناك أشياء كثيرة تحفل بها هذه الجزيرة، ولكن الوقت لم يتسع لها وإكمالها في هذه الزيارة قائلاً:

في الذكريات وفي الترحال أشجان ... فيها من العلم والعرفان ألوان

مستلهماً عبر التاريخ أجعلها ... قصدي ففيها من التاريخ ألوان

***

في تايلاند

الرحلة بدأت من الرياض في ٣/ ٥/ ١٤٣١هـ فدبي ثم بانكوك العاصمة، فكان الاتجاه نحو الشرق، وقد استغرقت زهاء ست ساعات، وحيث كانت الطائرة تحلق بنا فوق سماء بانكوك شاهدت مبانيها السامقة الشاهقة حطت بنا الطائرة في مطارها الكبير والطبيعة التايلاندية، والمناخ لا يختلف عن طبيعة ومناخ البلدان المجاورة لها من حيث الخصب والنماء والمطر وكنت مشدوداً ببصري إلى ما حولنا من مناظر أتطلع وأتأمل وأستقرئ التاريخ.

ودخلنا العاصمة حيث حركة السير دائبة، وفي وسط المدينة يقع مركز التجارة والفنادق والمتاجر والمطاعم والمقاهي وسكانها خمسون مليوناً. أما سكان العاصمة بانكوك نفسها فيبلغون ستة ملايين تزدحم بالسكان والسياح والحركة المعمارية النشطة يزينها مجرى نهر «تاوبيا» وقنواته المتعددة ومبانيها سامقة الطول متعددة الأدوار، وتزدحم بعربات المرور والمارة ويتحدث سكانها عدة لغات هي الأردية والإنجليزية والفرنسية، كما توجد سيارات الأجرة بأشكال مختلفة بعضها بثلاث عجلات ومقاعد خشبية للركاب، وبعد تمضية يومين في ربوعها ذهبنا إلى ريفها الجميل وجزرها البديعة، والتي تجلب لها الثروة والدخل المادي حيث يقصدها السواح.

وانطلقنا بالطائرة التايلندية إلى جزيرة «فوكيت» أو «بوكيت» الشهيرة ذات الفنادق الفخمة والحدائق الواسعة والسواحل الرملية الجميلة والملاعب الرياضية والقوارب الصغيرة، ومناظر طبيعية تأسر النظر، وهي أكبر جزيرة في تايلاند، ومساحتها ٥٧٠ كيلو متراً.

وجزيرة «فوكيت» هي أكبر جزيرة في تايلاند وتقع على بحر أندامان في جنوب تايلاند، هناك سلسلة من الجبال في غرب الجزيرة وتبدأ من الشمال إلى الجنوب وتعرف باسم جبال بوكيت الذي يصل ارتفاعها إلى (١.٧٣٦ قدم) فوق سطح البحر. تبلغ مساحة بوكيت الإجمالية ٧٥٠ كيلومتراً مربعاً (٢٢٠ ميل مربع) بما في ذلك الجزر الصغري، وتبعد الجزيرة عن العاصمة بانكوك قرابة ٨٦٣ كم (٥٣٦ ميلاً) جنوب بانكوك، وتبلغ مساحتها حوالي (٥٤٣ كيلو متراً مربعاً) باستثناء الجزر الصغيرة. يتبع المحافظة ما يقارب ٣٩ جزيرة صغيرة ويقدر طول جزيرة بوكيت من الشمال إلى الجنوب ٤٨ كيلو متراً.

تبلغ الجبال في بوكيت حوالي ٧٠٪ من مساحة الجزيرة و٣٠٪ المتبقية عبارة عن سهول واقعة في الأجزاء الوسطى والشرقية من الجزيرة والجزيرة لا تحتوي على أنهار رئيسية وتحتوي على بعض جداول.

تغطي الغابات ومزارع المطاط وزيت النخيل ما يقارب ٦٠٪ من مساحة الجزيرة الساحل الغربي فيه العديد من الشواطئ الرملية، ويسمى الشاطئ الأكثر شعبية في بوكيت شاطئ باتونج وهو يقع على الساحل الغربي.

ومن أهم ما يميز هذه الجزيرة وجود أماكن من أجمل مواقع الغوص على المستوى العالمي إضافة إلى تطور سياحة الغوص والرحلات البحرية بشكل راق ومناسب للجميع، فيمكن للغواصين الاختيار ما بين رحلات الغوص لمدة يوم واحد مع توفير الوجبات والمشروبات على متن قوارب مجهزة بجميع وسائل الراحة والاستجمام وبين رحلات لعدة أيام أو حتى أسابيع تجوب مياه جزيرة بوكيت والجزر الصغيرة القريبة والتي تتميز بتنوع شعابها المرجانية

وكائناتها البحرية المختلفة من سلاحف بحرية وقروش بجميع أنواعها. وغالبية السواح من أمريكا وأوروبا.

وخلال زيارتنا حرصنا على زيارة الريف التايلندي المتشح برداء ربيعي، ولقد لاحظت كثرة التماثيل لبوذا ومعابده المنتشرة في كل مكان والمبنية على الطراز الصيني، والمحلات جميعها بنقوش وزخارف مذهبة، وشاهدت المزارع الممتدة ذات الوفرة في محاصيل الفواكه كالأناناس وجوز الهند والموز، وكذلك مزارع الأرز لوفرة المياه، وخلال التجوال عرض علينا أصحاب السيارات صوراً لمناطق سياحية يدعوننا لزيارتها.

وذهبنا لزيارة القصر الصيني للملك المبني على النمط الصيني من الأخشاب، والذي يبعد عن العاصمة أربعين كيلاً بحدائقه الواسعة وتجهيزاته الخشبية ومنتزهاته الواسعة المجلوبة من نهر تاويبا. ولقد بني القصر كما يقول المرشد السياحي منذ مائة وخمسين عاماً، ومعظم البيوت في الريف التايلندي مبنية من الخشب وعلى أعمدة خشبية منصوبة فوق حقول الأرز الغارقة في المياه. وقمنا بزيارة للعاصمة القديمة، «دوتيا» ذات الحدائق المترامية الأطراف والمعابد القديمة ودورها التي تحيط بها أغصان الأشجار وزيارة مبنى البرلمان ومتاجر الزهور والورود.

وامتطينا مركباً للنزهة عبر نهر «تاوبيا» والذي تصطف على ضفتيه أشجار جوز الهند مروراً بمئات البيوت والمراكب على جانبي النهر، وتأخذنا الرحلة النهرية بعيداً عن المعابد الباذخة المظهر إلى الأكواخ المتراصة، ووصلنا إلى حديقة التماسيح والطيور والأفاعي حيث شاهدنا الثعابين الرهيبة في هذه الحديقة.

وهكذا أمضينا بضعة أيام بين العاصمة والريف والجزر وغير ذلك كثير مما لم نشهده، ولم يسمح لنا الوقت القصير برؤيته.

وحسبي هذا، وإلا فإن مجال القول ذو سعة في بلاد فسيحة واسعة ممتدة، وجزر ذات مرابع ومراتع، وجبال ذات جوانب كثيرة من الحياة والتاريخ والجغرافيا. ولقد قال المؤرخ الرحالة عبدالرحمن بن خلدون: (٧٣٢-٨٠٨هـ) في الرحلات اكتساب الفوائد والمعارف، ولقد قال كعب بن مالك:

إن كنت تعلم أن الأرض واسعة ... فيها لغيرك مرتاد ومرتحل

فارحل فإن بلاد الله واسعة ... إلا ليبلك فيها السهل والجبل

وهكذا استمتعنا بمشاهد التاريخ ومعالم الحضارة ومظاهر الحياة في هذه البلاد مما شاهدته وانطبع في ذهني عن هذه البلاد مردداً قول الشاعر:

نيمم أقطار البلاد فتارة ... لدى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

❋❋❋

أيام في هونج كونج ذات إيقاع ومعان

كنت قرير العين مبتهج الفؤاد وأحدث مرافقي عن رحلتي إلى اليابان وما فيه من نشاط متنوع السمات وسرعان ما كان الجو ملبداً بالغيوم وبالمطبات الهوائية فقلت لمرافقي ونحن نربط حزام الأمان:

ترقصنا الرياح بكل عنف وقانا الله شر الطائرات

وذكرت نظرية أحمد شوقي في الطائرة:

أركب الليث ولا أركبها وأرى ليث الثرى أوفى ذماما

وقلت لمرافقي: لقد كانت الرحلات في قديم الزمان مجازفة بالحياة ومغامرة بالمال والوقت والراحة سواء كانت لطلب علم أو سياحة أو تجارة، وكان المسافر يضع نصب عينيه حين عزمه على السفر عدم العودة لأهله، فكان يكتب وصيته ويقضي ديونه ويخرج كمن يريد خوض معركة، ويركب البحر إبان هياجه إلى جانب ما يتكبده من عنت وإرهاق في جوب الفيافي والقفار والسير البطيء والمواصلات العقيمة.

فقال مرافقي: كفى ما قلت! فقد زدتنا صبراً وتحملاً.

فقلت له: نحن نقطع الطريق الآن في ساعات وأسلافنا من الرحالة كانوا يقطعونه في شهور وسنوات.

ثم هبطت بنا الطائرة في مطار هونج كونج، فنزل ركاب وصعد آخرون حيث إن كثيراً من المسافرين يواصلون رحلاتهم، وكنت أراقب من نافذة الطائرة المعالم التي نمر عليها براً وبحراً، وكما قال المتنبي: «إذا مضى علم بدا لنا علم».

لقد ارتبط اسم هذه الجزيرة ببريطانيا قبل أن تعود إلى الصين، وكانت مؤجرة ونالت استقلالها في عام ١٩٩٧م واستعادتها، الصين.

واتجهنا للسكن في أحد الفنادق في جزيرة كاولون، واللغة الصينية الكانتونية هي الشائعة وتنقسم إلى قسمين: راق متقدم، وقسم شعبي. وضجيجها لا حدود له ليلاً ونهاراً، وبها ناطحات السحاب والمباني الراقية والأسواق الباذخة، وتجولت في طرقاتها وشوارعها وأسواقها – وهي كما يقولون مدينة الليل والنهار، وبها البضائع المتعددة الأصلية والمقلدة، وبها مكتبات مليئة بالكتب القديمة والحديثة، وهي ناجحة جداً حيث تقوم بدور كبير في نشر المعرفة كما يقول محدثي.

والتقيت في إحدى المكتبات بسائح عراقي فقطعنا غالب الوقت في بحث علمي مفيد ومناقشة علمية متزنة، ثم رافقته في جولة الاستكشاف وما فيها من معالم وكنوز والبحث في تاريخ هذه البلاد وآثارها وشعوبها باتجاهاتها الأخلاقية والفنية والفكرية، وبعد ذلك قررنا أن نطوف في جولة على أهم معالمها وأجناس أهلها ومناخها وغير ذلك مما يعنى به الرحالة ويحرصون على تدوينه.

فكانت هذه الرحلة مشاهدات عابرة، وكانت زيارتنا مقسمة إلى أهم معالمها حيث زرنا القمة بها وتدعى «The peak» «ذا بيك»، وهو مطل مشيد على إحدى القمم ومشرف على جزيرة هونج كونغ، وقمنا باستقلال قطارها «ذا ترام» the tram وهو قطار متردد وسكة مبنية على حافة الجبل المائلة، وتستغرق رحلة الصعود حوالي العشر دقائق، ثم صعدنا إلى القمة فأبهرنا

امتزاج جمال صنع الخالق وما سخره لعباده في صنع ناطحات السحاب، وكان منظراً رائعاً خصوصاً أن هونج كونج تحوي أكثر عدد من ناطحات السحاب في العالم، ثم نزلنا بعد أن استمتعنا بساعات من الجمال وتوجهنا إلى ستانلي «Stanley» وهي منطقة على البحر مشهورة بسوق شعبي مفتوح.

كان الطريق جبلياً ممتعاً يسلب جماله الفكر، وقضينا بها حوالي الساعة تجولنا على شاطئها وسوقها، ثم عدنا إلى كولون وقررنا أن نأخذ جولة بحرية ليلية للتمتع بمنظر الغروب ومشاهدة جمال العمارة والإضافة المتقنة في المباني والناطحات في جزيرة هونج كونج وكاولون.

وفي صباح اليوم التالي قررنا التوجه إلى أحد أهم معالم هونج كونج السياحية وهو البوذا وهو تمثال كبير الحجم «بحجم عمارة أكبر من عشرة أدوار» مشيد على إحدى الجبال العالية وللوصول إليه استقلينا التلفريك في رحلة استغرقت حوالي نصف ساعة، وكنا معلقين بين الأرض والسماء ثم نزلنا لسوق المنطقة وتجولنا بها وأبهرنا من منظر السحاب والغيوم وجمال الطبيعة، ثم حدث ما لم يكن بالحسبان حيث انهمرت أمطار وضربت عاصفة استوائية فما كان من الشركة إلا أن وفرت باصات بديلة لتقل الناس حيث إن التلفريك المعلق لا يعد آمناً في هذه الأجواء شديدة الرياح، وكانت رحلة عجيبة جميلة استغرقت حوالي الساعة للوصول إلى المحطة الأرضية في وسط الجبال والغابات.

وكم في الرحلات من طرائف ولذة ومتعة! وتذكرت ما قاله مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا
وليت الغضى لم يقطع الركب دونه وليت الغضى ماشى الركاب لياليا

حقاً لقد كانت أياماً جميلة ذات إيقاع ومعان في رحاب هذه الجزيرة وما تخللها من حوارات حضارية وتبادلات ثقافية وغادرناها والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات الجميلة مردداً قول الشاعر:

ارحل وشاهد به ما قد سمعت به شتان عندي بين الخبر والخبر

***

الخاتمة

وبعد أيها القارئ:

فلم يبق لي من تلك الرحلات سوى الذكريات مردداً مع الشاعر العربي قوله:

قد جئت معتذرا ما في فمي خبر ... رجلاي أتعبها الترحال والسفر
ملت يداي تباريح الأسى ووعت ... عيناي قاتلها ما خانها بصر
إن جئت يا وطني هل فيك متسع ... كي نستريح وهمي فوقنا مطر
وهل لصدرك أن يحنو فيمنحني ... وسادة حلماً في قبضه شجر

ولكم تمثلت بقول الرحالة أبي دلف الخزرجي:

نيمم أقطار البلاد فتارة ... لدى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

وقوله:

ففربت حتى لم أجد ذكر مشرق ... وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

وقول الآخر:

لقد شغفت بترحالي ترحب بي ... في الشرق والغرب أقطار وبلدان

ويقول الرحالة محمد العبودي:

رأيت بقاع الأرض طراً وطوفت ... بي الرجل من بر بعيد إلى بر

ومهما رأى المرء من بلاد أخرى فإني أردد مع الشاعر قوله:

يا بلادي سلمت من كل شيء ... غير ذكراك إنها في لساني
ففؤادي إليك يخفق شوقاً ... وعيوني إلى رباك رواني

وأرى حبك المبرح يزداد إلى أن غدا من الإيمان

ونختم القول بما قاله امرؤ القيس:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وأقول:

تطوحني الأسفار شرقاً ومغربا ولكن قلبي في بلادي مقيم

***

الإنتاج العلمي المطبوع للمؤلف

١- كلمات متناثرة.

٢- رحلات وذكريات.

٣- على مائدة الأدب.

٤- مراحل إعداد المعلم في المملكة.

٥- رمضان عبر التاريخ.

٦- في التربية والثقافة.

٧- صور من الغرب.

٨- من أدب الرحلات.

٩- المفيد في الإنشاء.

١٠- الشذرات في اللغة والأدب والتاريخ والتربية.

١١- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية.

١٢- رحلات إلى الشرق والغرب.

١٣- يوم في ذاكرة التاريخ.

١٤- شعاع في الأفق «ديوان شعر».

١٥- عبق السنين «ديوان شعر».

١٦- رفقاً بالفصحى.

١٧- مسيرة التوحيد والبناء «لمحات تاريخية».

١٨- كتب ومؤلفون.

١٩- في آفاق التربية وأفياء التعليم.

٢٠- آفاق فكرية وشجون تربوية.

٢١- صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين.

٢٢- رحلة إلى اليابان.

٢٣- اللغة العربية هوية وانتماء.

٢٤- رحلات وذكريات في ربوع بلادي.

٢٥- رحلات الحج في عيون وكتابات الأدباء والمؤرخين.

٢٦- رحلات ومشاهدات في الوطن العربي والأندلس.

٢٧- رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوروبية.

٢٨- رحلات ومشاهدات في شرق آسيا.

٢٩- من وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٣٠- ومضات من فكر وحصاد قلم.

- إلى جانب بحوث ومقالات في الصحف والمجلات الفصلية والشهرية وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وإسهامات إعلامية كثيرة.
- لديه عدد من المؤلفات والدراسات الأدبية والتاريخية ستأخذ إن شاء الله طريقها إلى النشر.

***

بحوث ومحاضرات للمؤلف

١- الدعوة الإصلاحية في مواجهة التحديات.

٢- العلاقة بين التراث الإسلامي ونمو المدينة العربية.

٣- وميض من سيرة الملك عبدالعزيز «ظاهرة توطين البادية».

٤- محمد الخامس بطل التحرير.

٥- دور دارة الملك عبدالعزيز في إحياء ونشر التراث الإسلامي.

٦- أبو بكر بن العربي اللغوي الأديب.

٧- حول أسطورة القرصنة العربية في الخليج العربي.

٨- الصلات التاريخية بين الدولة العثمانية ودول الخليج العربي.

٩- النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية.

١٠- علاقة نجد بالشام في الفترة من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ.

١١- قضية اللغة العربية بين الفصحى والعامية.

١٢- نظرات في التراث.

١٣- توحيد المملكة العربية السعودية، وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي.

١٤- التعليم في عهد الملك عبدالعزيز.

١٥- الأماكن التاريخية لمدننا بين الذكرى والنسيان.

١٦- مدرسة دار التوحيد ومسيرة ستين عاماً.

١٧- المجمعة بين الماضي والحاضر.

١٨- من أدب الرحلات.

١٩- الكتاب السعودي بين الواقع والمأمول.

٢٠- منهج الإسلام في تربية الأسرة.

٢١- المؤسسات التربوية ودورها في التربية السلوكية.

٢٢- توظيف معطيات المعرفة في دعم المناهج التعليمية.

٢٣- سوق عكاظ بين وهج الماضي وشموخ الحاضر.

٢٤- منطقة سدير معالم الحاضر وآفاق المستقبل.

٢٥- التدريس في المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز.

٢٦- اللغة العربية بين الماضي الحي والغد المنشود.

٢٧- المدرسة السعودية في المجمعة نقوش في ذاكرة الوطن والمجتمع ومسيرة ثمانين عاماً.

٢٨- القرآن الكريم المعجزة اللغوية الخالدة.

٢٩- معجمات اللغة العربية ومادتها وأعلامها.

٣٠- العلاقات العربية اليابانية من خلال الرحلات المتبادلة.

٣١- ذاكرة الرياض في خمسين عاماً.

٣٢- مواقف وذكريات في ميدان التربية والتعليم ودارة الملك عبدالعزيز وغيرها من البحوث والمحاضرات.

***

الفهرس

الإهـــــداء ٥
المقدمة ٧
في كوريا الجنوبية ٩
جولة في الفلبين ١٨
تجوال في باكستان ٢٨
في جزيرة سنغافورة ٣٣
في ماليزيا .. الرحلة الأولى ٣٧
في ماليزيا .. الرحلة الثانية ٤٣
في إندونيسيا ٥١
في اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة ٥٤
جولات استطلاعية وسياحية في اليابان ٦١
جامعاتنا السعودية ودورها الثقافي الرائد ٦٦
زيارة السفارة السعودية ٦٩
المعهد العربي الإسلامي يستأنف نشاطه العلمي ٧١
ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية ٧٥
الشعر السعودي يصدح في سماء طوكيو ٨١
زيارة المركز الإسلامي في طوكيو ٨٣
لمحة عن التاريخ الثقافي الياباني ٩٢
جولة في المناطق السياحية ٩٥
في نادي سباق الخيل في طوكيو ٩٨
اليابانيون يتعلمون اللغة العربية ١٠١
مشاهد من الحياة في اليابان ١٠٣
العلاقات العربية اليابانية من خلال الرحلات المتبادلة ١١٢
حوار مع مدير المركز الإسلامي في طوكيو ١٣٢
الصحافة في اليابان ١٣٤

مفكر ياباني يشيد بالعلاقات اليابانية السعودية ١٣٥
من وحي الرحلة إلى اليابان ١٣٨
في سيلان..... ١٣٩
في تايلاند ١٤٣
أيام في هونج كونج ذات إيقاع ومعان..... ١٤٧
الخاتمة ١٥١
الإنتاج العلمي المطبوع للمؤلف..... ١٥٣
بحوث ومحاضرات للمؤلف..... ١٥٥
الفهرس..... ١٥٧

***